السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

This is my reply to an e-mail from my best friend Hyman, which you will find beneath with his permission, concerning my trial of writing about the 7 habits.
(Excuse me for using the English language when it requires)

Please, read FIRST his mail in English and then read my reply. Be Patient.
(Decorations are done by me for clarification)

أنا لا أريد أن يظن أحدٌ خطأً أن غرضي من الكتابة عن موضوع العادات السبع للنجاح هو مجرد إظهار للغرب أو لنا نحن المسلمون أن هذا الأمر موجود عندنا في الإسلام.
كلا ، ليس هذا ما أردت على الإطلاق ، وسوف أزيل هذه الجملة التي كُتبت سَهوا في أول بحث والتي أشارت إلى هذا الأمر بطريقة قليلة الوضوح.
ليس هذا غرضي ، لا لعدم اقتناع مني ، ولكن لأنني أرى أنه لا فائدة تُرجى من ذلك.

الذي أردته حقاً هو إلقاء الضوء أصلا على مفهوم وفكر العادات السبع للنجاح لما رأيته فيها من حكمة تستحق الاحترام. والحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها فهو أحق بها.
الذي أردته هو أن أبين كيف يمكن أن نقتنع نحن المسلمون بهذه العادات وكيف يمكن أن نمارسها في حياتنا اليومية **بدون حرج**.

لماذا أقول بدون حرج؟!

لأنني أرى عدة محاذير...

أولاً ، أنا أرى أن المسلمين لم يقوموا بواجبهم في نقل هذا الجزء الهام عن الثقافة الغربية الذي هو أساس نجاحهم ، بينما اجتهد بعض المنتسبين للإسلام في نقل ثقافات الرقص وحرية التعبير عن الفسق والفراغ الفكري ، جزاهم الله ما يستحقون.

أقول ذلك ، ولكنّني لا أقبل أن يتكلم معي أحد عن الأخلاق بدون مرجعية إسلامية. نحن المسلمون يجب أن نكون أساتذة هذا المجال ، يجب علينا نحن أن نعلمهم الأخلاق ، لا أن تعلم منهم الأخلاق ، لأن مَن علّمنا هذا هو سيدُ ولد آدم ولا فخر. مَن علّمنا هذا هو مَن مدحه الله بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم). لم يمدح أحد بمثل ذلك في التاريخ قط.

المسلمون لا يحتاجون لدراسة 200 سنة من تاريخ الناجحين مثلما فعل دكتور ستيفان كوفي حتى نصل إلى أن التغيير يبدأ من أنفسنا. (Inside-Out Approach). كلا.
كل ما نحتاج أن ندرسه ، من رحمة الله بنا ، هو سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن كم منا تعلم هذه السيرة؟!

أنا لا أؤمن بنبوة ستيفان كوفي ولكنني أؤمن بنبوة هذا النبي الأمّي الذي لم يقرأ ولم يكتب.
هذه واحدة...

الأمر الآخر هو أنني أرى أنه لا يصح من مفهوم النية أصلاً أن أقول مثلاً " *أنا أخطط لمستقبلي لأن دكتور ستيفان كوفي قال: (Begin with End in Mind and Put First Things First)* "
كلا. لا أظن أن هذه النية يقبلها الحق سبحانه وتعالى. ولكن أنا أخطط لمستقبلي لأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **حذرنا** فقال : (إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى) و**أمرنا** فقال : (اغتنم خمساً قبل خمس ، فراغَك قبل شغلك ، صحتَك قبل سقمك ، شبَابك قبل هرمك ، غناك قبل فقرك ، حياتَك قبل موتك).

ولأن الحق سبحانه وتعالى **يحذرنا** فيقول (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا).

هذه يجب أن تكون النية في العمل أصلاً وإلا:
(قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ ، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا)

حسـنٌ ، قـد يسأل سائل : مادام هذا ما تقوله فلم تأخذ عن الغرب؟! لم لا تنصرف لما تؤمن بكماله فتستخرج منه منهجاً يفوق ما يتبعونه من مناهج؟! (هذا سؤالك يا هيمن)...

أنـا لا أحـتاج الغرب لكي يعلمني الأخلاق ولكنني أحتاج منهجية الغرب في التفكير والتحليل. هؤلاء القوم حقاً برعوا في ذلك.

(مداخلة د. طارق السويدان)
إذا سألت مُدرّسة ابتدائي : ماذا تفعلين إذا تشاجر تلميذان أمامك؟ .. فكّر أنت قليلا ..
سـتجد أن كـل مدرّسـة ستجتهد رأيها ولن تجد إجابة واحدة. ولكن إذا سألت هذا في الغرب فستجد نفس الإجابة عند جميع المدرّسات!! .. لم هذا؟! .. لأنّ عندهم منهج.
هـناك مؤسسـة مَعنيّة بوضع مناهج تربوية للأطفال في الغرب. تخيّلوا قليلا ما هي طبيعة المناهج من سن 5 إلى 9 سنوات؟

هذه بعض المواضيع:
- كيف تتخذ هدف في الحياة.
- كيف تحل مشكلاتك.
- كيف تنشئ علاقات مع الآخرين.
- كيف تصلح علاقات فسدت.

(ما سبق هو قول د. طارق السويدان)

هـذه الأمـور والله مـا تعلمناها كبارا ، وهم يعلّمونها أولادهم صغارا. ومن أجل هذا فأنا أتناول موضوع العادات السبع مـن وجهة نظري بناءاً على ما تعلّمته في دورة العادات السبع وعلى ما سمعته من دكتور طارق السويدان و على ما أعلمه من ديني.

فـي الـدورة التـي أخذتهـا ، اسـتمتعت حقـا بأسلوب العرض وبراعة توصيل المعلومة وكفاءة المنهج المتبع. وعندما اسـتمعت للدكـتور طـارق السـويدان وهو يشرح مفهوم العادات السبع ، استمتعت أكثر بإسقاط هذا المفهوم على جوانب عديدة لم أدركها في الدورة ، وأصبحت أكثر فهماً لعمق هذا المفهوم. ربما مَرَدّ ذلك أنني أعترف بأنني كنت مـتحفّزا فـي الدورة حتى لا أدع موقفاً لله فيه مقال ولا أقوله فشغلني ذلك عن إدراك عمق هذه المفاهيم ، أما مع الدكتور طارق السويدان فكنت مستسلماً.

ولكن المشكلة التي رأيتها أن كلام دكتور طارق السويدان كان على شرائط تفتقد جمال العرض الشيق في الدورة وطبيعتها الحوارية.
فقلـت فـي نفسـي : "ماذا لو استعملت نفس هذا المنهج الشيق في شرح المفاهيم ولكن أطنبها ما يصحح النية في اتباعها" .. أفعليّ حرج؟!

إذن تركـيزي الأساسـي فـي هـذا الأمـر هـو اسـتعمال ذات المعالجـة الإنجليزية لتوصيل المفهوم ثم محاولـة التعقيب بما أراه مناسباً من تراثنا الإسلامي ، لا للتدليل على وجوده ، نحن لا نشك في عدم وجوده ، ولكن لتصحيح النية والإقناع.

يتبقى موضوع النموذج الإسلامي الكامل.

هذا يتطلب جهد ما أظنّ لي به طاقة ، ويتطلب علم أعلم أنّني ما أوتيته.
ولكنني وجدت على موقع الدكتور طارق السويدان كتباً ، أظنها تهدف لذلك.

لاحـظ أنني اسـتعملت الكلمة التالية متعمِّداً. (Subset of Islamic Morals). إذن فأنا أوضحت أن ما يتبعونه ليس الإسـلام ، ولكـنه جـزء من الإسلام ، وبقي علينا نحن المسلمين ، **بعد أن نتعلم كيفية تطبيق هذا الجزء** ، أن نطوّره لما أراده الله ورسوله لنا من الخيريّة والوسطيّة.
وأنا كنت أقصد هذا أيضاً بقولي (This is not the detailed version).

مـثلاً ، قـد تكلـم الدكـتور طـارق عـن **التضحية** كضرورة من ضرورات النجاح مع أن دكتور ستيفان لم يتكلم عن هذا. هـذا مفهـوم لأنـك لا تسـتطيع أن تـتكلم عن التضحية بدون استحضار مفاهيم غيبية وإيمانية ، وهذا ما كان يتجنبه دكتور ستيفان.
وأنـا فكـرت فـي موضـوع تثبيـت القلـوب. مـاذا يفعـل الإنسـان إذا شـعر أنـه فشـل في تحقيق أهدافه؟ وماذا يفعل ليسترجع ثقته في نفسه؟!
كيف ننظر لقوله تعالى (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك)؟!

لا أريد الخوض في هذه الأمور حتى نستكمل فهمنا لما قلته من قبل ونطبقه على حياتنا أولاً ولكنني سأورد بعضها في مكانها بإذن الله.

من أجل هذا فأنا أحثّ القارئين أن يشاركوا في هذا الأمر ، بعلمكم جميعاً وخبراتكم.
حبذا ، لو استمع أحد إلي خطيب يوم الجمعة أو درس أو قرأ كتاباً فوجد أفكاراً تخدم مفهوماً معيناً ممّا نتكلم فيه ، فرجع إلى بيته فكتبها وأبدع في إخراجها في شكل شيق ممتع وأنيق ، ثم أرسلها إليّ. ثم أعيد أنا إرسالها للجميع في مكانها من البحث.
مجرد رسم صغير يشرح فكرة معيّنة يكفي..
والله قد نخرج في النهاية بكتاب ليس على غرار ما سبق في طريقة عرضه ومتعة قراءته ، فقط لو آمنّا بهذا.
هذا الكتاب بعد ذلك ، نسلّمه لعلماء الدين كي يحققونه و يراجعونه ويصححون ما فيه من أخطاء ثم نعرضه على الناس ونجاهد لإدخاله في مناهج التعليم.

أظن من حقنا أن نحلم ، طالما بعثنا في زمن ، تحطمت فيه كل الأحلام.
نحن لم نبعث في زمن رقيّ الحضارة الإسلامية لكي نجني ثمار الرخاء و الكرامة ، ولكننا بعثنا في زمن التكالب والضعف والهوان ، الذي لا يمكن أن نرتضيه لأنفسنا.
لم يكن هذا من اختيارنا، نعم ،ولكن من واجبنا أن نفهم ماذا يجب يستتبع ذلك من مسئولياتنا في الحياة.

It's true that we are not born in the state of our Islamic civilization culmination, to grip the fruits of welfare and prosperity. Instead, we are born in the state of weakness and danger, in which, we are obliged to struggle to erase this weakness, and aim for living this life with the dignity that we deserve. It's not our choice to be born in this time, but it's our duty to understand this time, and how it should reflect on our directions in life.

أنا لا أريد أي إنسان أن يجلس وحيدا ويقول ، ماذا بيدي أن أفعله؟ أنا لا أستطيع فعل شئ؟
كيف (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) ؟!!
كيف وقد قال الحق (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)!!
نستطيع أن نفعل الكثير ، فقط لو آمنا به.

هذا رأيي (ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات) (إلى الله مرجعكم جميعاً)...

This is Hyman's mail

Tarek,
I was about to send the following email to our group, but to prevent any misunderstandings I decided to just copy those interested and who already had your email.
Hyman

Dear all,

I'd like to thank Tarek for taking the "7 habits" from that very important angle. I guess he managed to put it in a very simple, nevertheless deep, way. Actually I had a chance of reading Covey's book "**The 7 habits for highly effective people**" and his second one "**First Things First**" which has the theme "*To live, to love, to learn, to leave a legacy*".

In his second book, It seems that Covey noticed that what he was teaching was related to religion in many facets but in order not to create conflicts he didn't want to admit that fact.

It is worth to note that what Tarek is trying to illustrate is very important in terms of linking those important principles, which people in the west can understand, with Islam.

With that solid link with Islam that we all believe in, others will think in the same way, because we also know that, in some way or the other, similar foundations and principles do exist in Christian or Jewish ethics, thus I might disagree with Tarek when he was trying to illustrate that we can convince the west by letting them know that what they practice now under this "principle-centered" approach is Islam, because they can easily refer to their religion and principles but I rather find it more appealing if we can say "let's forget about Covey" and make a similar approach from Islam (not even related to him) and apply that and watch the results and then conclude "***Well no, we have our own model, it is Islamic, and guess! It is even more efficient and reliable than yours***" and what we really did in that is just being inspired by Covey's "idea" only and then use it to come with a totally new "**innovative**" approach.

I'm recalling a statement from Covey's book "**First Things First**", page 52, that says "*What we are talking about is not religion. We're not dealing with issues such as salvation, life after death, or even the sourse of theses principles. We do believe these are important issues for each individual to address. But theses issues are beyond the scope of this book. We're not dealing with why "true north" exists, where it came from, or how it came to be. We're simply dealing with the fact that it's there and it governs the quality of our lives....The fundamental principles are there, and recognized-though sometimes by different names-in all major civilizations throughout time*".

Thus he put the answer to a question that he probably had before, although I don't totally agree with him, but at least we know now what the west will think if we are to reinstate for them the concepts that they already know from an Islamic point of view; because they already had the counteraction in the same book they learned the principles from.

To further illustrate what I want to get at is that after I read those books, I thought for a long time that we don't have to read those books and start relating them to Islam, taking word by word and saying that we have it already. The book is really what Islamic principles about but in non-Islamic terms, and I knew that we SURELY have a better model, a more efficient method, and a more innovative approach, if that model helped the US, then our "innovative" Islamic model can help us, but even on a more stronger foundation, because we know that those principles are only subset of Islam not the opposite, so imagine that you have the source which Covey had only few of it in his books, then we can probably publish a similar book from our Islamic view point for our culture and working on making it a far better

more effective model. Unfortunately I didn't have the means and the knowledge of doing that.

In conclusion, I'd like to deeply thank Tarek again for that work and I hope to see that "Islamic model" from him, because I think he might be able to do that and I hope I made my comments to you as clear as possible.

Hyman.

About the
7 Habits of Highly Effective People

INTRODUCTION

"***The 7 habits of Highly Effective People***" is the name of a book authored by Dr. Stephan Covey, of which over 10 Million copies were sold in more than 30 countries.

Dr. covey spent 25 years studying a 200 years of success literature to come up with this book. Throughout the book, he presented an integrated principle-centered approach for solving personal and professional problems and reaching the success in life. Out of his work, Dr. Covey is considered one of the top 25 individuals to affect the current history of the US. As a result, Many training centers worldwide teach the 7 habits course to many large companies. All those companies are proud to state that their policy follows the 7 habits, or that they comply with the 7 habits.

Dr. Tarek El-Swaidan, the petroleum engineer who decided to be specialized also in the Islamic thought and the managerial thought, went to the US and lived there for a long time and took the doctoral degree in petroleum engineering and in management under Dr. Covey supervision. Dr. Tarek upon returning back, became well-known as he made his series on **"قصـص الأنبيـاء و السـيرة"** next to many other series in religion**.** But beside that, he was taking his role in a certain companies in Kowait, and he was conducting several management training sessions for many different people across the country. Dr. Tarek made a set of tapes out of a broadcast conversational program, through which he explained the 7 habits supported by an Islamic viewpoint. (*Visit*: http://www.suwaidan.com/)

The truth is that the 7 habits does not contradict with any of the Islamic principles, but what Dr. Tarek had done is a kind of an Islamic derivation of the 7 habits to prove that we had them in Islam before being discovered by Dr. Covey, and even to show how much valuable those 7 habits should be to any Muslim.

In this document and the others to follow *I.S.A*, I'll try present a basic introduction to the 7 habits, but beside it I'll put in place
"الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو القصص من السيرة التي تشير إليها". My aim out of this is that we would all understand these habits and be aware of the importance of them in deriving ourselves towards success in this life and the one to come. Other intention, is to show how rich is our Islamic culture and to excite people to share and participate with their knowledge and efforts to make these documents as useful as possible to anyone reading…Maybe we would finally come out with a fine book in a subject not tackled before by writers except Dr. Tarek El-Swaidan to my knowledge.

Only the key points will be mentioned in this document and the others to follow *I.S.A*, and detail will be avoided as much as possible, but all of you are encouraged to treat every document as a seed of your own thoughts and knowledge and try to detail it for yourself. The interactive nature of the 7 habits course is lost through writing, but I want you to experience it with yourself as much as possible.

For Further details about why writing these documents, people are encouraged to read the file: *Why_writing_about_the_7_habits.pdf*

I'll just try here to copy the most important notes in that file, but reading it would be still favored.

" أنا لا أريد أن يظن أحدٌ خطأً أن غرضي من الكتابة عن موضوع العادات السبع للنجاح هو مجرد إظهار للغرب أو لنا نحن المسلمون أن هذا الأمر موجود عندنا في الإسلام.
كلا ، ليس هذا غرضي ، ولكن الذي أردته حقاً هو إلقاء الضوء أصلاً على مفهوم و فكر العادات السبع للنجاح لما رأيتُه فيها من حكمة تستحق الاحترام. والحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدَها فهو أحقُّ بها.
أنا أرى أولاً ، أن المسلمين لم يقوموا بواجبهم في نقل هذا الجزء الهام عن الثقافة الغربية الذي هو أساس نجاحهم ، بينما اجتهد بعض المنتسبين للإسلام في نقل ثقافات الرقص وحرية التعبير عن الفسق والفراغ الفكري ، جزاهم الله ما يستحقون.

الذي سنراه من خلاصة العادات السبع أنها تحاول إصلاح الأخلاق.

يقيناً ، أنا أؤمن أنني لا أحتاج الغرب لكي يعلمني الأخلاق ولكنني أحتاج منهجية الغرب في التفكير والتحليل ، وذلك هو ما برعوا فيه.
الأمر الآخر هو أنني أرى أنه لا يصح من مفهوم النية أصلاً أن أقول مثلاً "*أنا أخطط لمستقبلي لأن دكتور ستيفان كوفي قال: (Begin with End in Mind and Put First Things First)* "
كلا. لا أظن أن هذه النية يقبلها الحق سبحانه وتعالى. ولكن أنا أخطط لمستقبلي لأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **حذرنا** فقال : (إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى) [رواه البخاري] و**أمرنا** فقال : (اغتنم خمساً قبل خمس ،حياتَك قبل موتك ،و صحتَك قبل سقمك ، و فراغَك قبل شغلك ، و شبَابك قبل هرمك ، و غناك قبل فقرك). [صحيح الجامع]

ولأنّ الحقّ سبحانه وتعالى **يحذرنا** فيقول (مَن كانَ يُريدُ العاجِلةَ عَجَّلْنَا لهُ فيها ما نشاءُ لِمَن نُريدُ ثُمَّ جَعَلنا لهُ جهنَّم يصلاها مَذمُوماً مَدحُورا ، ومَن أرادَ الآخرةَ وسَعَى لها سَعْيها وهُو مُؤمِنٌ فأولئك كانَ سَعيُهُم مشكُورا).
[الاسراء – ١٨ و ١٩]
هذه يجب أن تكون النية في العمل أصلاً وإلا:
(قُل هل أنَبِّئُكُم بالأخْسَرينَ أعمالا ؟ ، الّذينَ ضَلَّ سَعيُهم في الحياةِ الدُنيا وهُم يَحْسَبُون أنّهُم يُحْسِنُون صُنْعَا)
[الكهف – ١٠٣ و ١٠٤]

إذن تركيزي الأساسي في هذا الأمر هو استعمال ذات المعالجة الإنجليزية لتوصيل المفهوم ثم محاولة التعقيب بما أراه مناسباً من تراثنا الإسلامي ، لا للتدليل على وجوده ، نحن لا نشك في عدم وجوده ، ولكن لتصحيح النية والإقناع. "

Signs of Success "مظاهر النجاح"

1- To feel an inner relief and comfort in yourself.

١- أن يكون لديك شعور بالرضا و الارتياح داخل نفسك.

هذا الرضا والارتياح يتمثل في الاستمتاع بكل ما تفعله في حياتك. وهذا يعنى تحقيق معنى الحديث التالي في شعور كل منا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عجباً لأمر المؤمن ، إنّ أمره كله خير ، وليس هذا لأحد إلا للمؤمن . إنّ أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، و إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) [صحيح الترغيب]

وقال صلى الله عليه وسلم : (ارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس) [صحيح الجامع]

و قال عز وجل في الحديث القدسيّ:

(يا ابن آدم : خلقتك للعبادة فلا تلعب وقسمت لك رزقك فلا تتعب . فإن أنت رضيت بما قسمته لك، **أرحت قلبك وبدنك** وكنت عندي محمودا ، وإن لم ترضى بما قسمته لك فعزتي وجلالي لأسلطنّ عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذموما)

- الإنسان الناجح هو الذي يرضى بما قسمه الله له و يصبر على ما ابتلاه الله به فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و أن ما أخطئه لم يكن ليصيبه.

2- To have a balanced social relations with those around you.

٢- أن يكون لك توافق اجتماعي مع من حولك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وخالق الناس بخلق حسن) [صحيح الترغيب]

وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [صحيح الجامع]

وقال عزّ و جلّ (يا أَيُّها النّاسُ إنّا خلقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ و أُنْثى و جعلناكم شعُوباً و قَبَائِل لِتعَارَفُوا) [الحجرات –١٣]

- الإنسان الناجح هو الذي لا يضمر في قلبه بغضاء أو حقد أو حسد لأحد ممن حوله ولكنه يعامل الناس بالحسنى ولا يحب لأخيه إلا ما يحبه لنفسه.

3- To have a great achievement.

٣- أن **يكون لك إنجاز بارز .**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يكن أحدكم إمعة . يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم) [رواه الترمذي]

و قال عز وجل : (هُوَ أَنْشَأَكُم مِنَ الأَرْضِ و اسْتَعْمَرَكُم فِيها) [هود - ٦١]

وقال : (وسَيَرَى اللّه عَمَلَكُم و رسُولُه و المِؤمِنُون) [التوبة – ١٠٥]

- الإنسان الناجح هو إنسان فعال مؤثر في الحياة، أما الفاشل فهو عكس ذلك.

It's to noted that people are grouped into three categories:

- ***Ineffective***: Those have no goals in life and don't help others achieve their goals.
- ***Effective***: Those have goals in life and try to accomplish them.
- ***Highly effective:*** Those reached the three aspects of success mentioned before. And those are what the 7 habits are written for. I mean, those people who will apply the 7 habits in their lives are mostly promised to be of the third category.

Throughout the writing, it should be noted that ***effectiveness*** would be treated as equally as ***success***.

Steps of success

Success is achieved as the person moves from depending on others (*Dependence*) towards depending on himself (*Independence*), and from depending on himself towards cooperating and integrating with others (*Interdependence*).

The first three habits address this shift from depending on others (*You-oriented behavior*) towards depending on yourself (*I-oriented behavior*), and the next three habits address the shift from depending on yourself towards cooperating and integrating with others (*We-oriented behavior*).

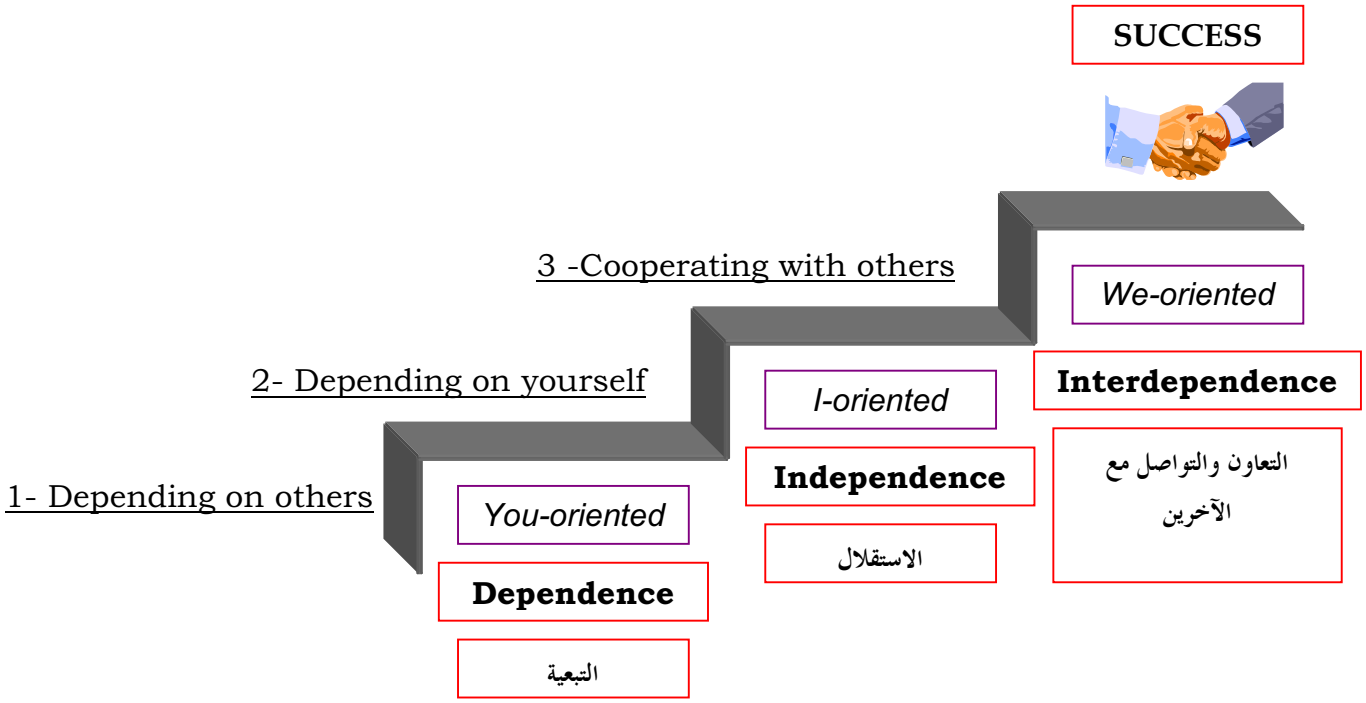

Lets brief the 7 habits first in their unique definitions as posted by Dr. Covey, and get into their explanation later:

1- Be Proactive
2- Begin with the End in Mind.
3- Put First Things First.
4- Think Win-Win.
5- Seek First to Understand then to Be Understood.
6- Synergize.
7- Sharpen the Saw.

This set of those unique human behaviors is truly powerful to reach the state of being highly effective in life. You will all come to understand this power, through the following brief explanation, before a more detailed version is available:

Habit 1: Be Proactive الشعور بالمسئولية وأخذ زمام المبادرة

Key points:

- You are responsible for your behavior and the choices you make in life.
- You must accept this responsibility, and respond to life according to your values and not your feelings.
- Nothing can change unless you want to change from the inside. And this inside-out approach is what you must experience first with yourself.

Reactive Behavior:

Reactive people allow outside influences (moods, feelings, or circumstances) to control their behavior.

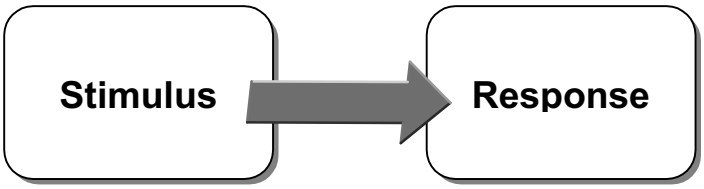

Proactive Behavior

Proactive people use the margin of freedom to make choices that best apply their values. Their freedom to choose expands as they wisely use the space between stimulus and response

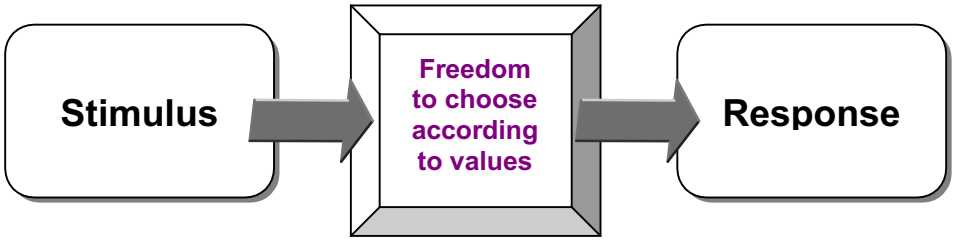

- كثير من الناس شخصياتهم اتكالية وليست توكلية، فهم يضعون اللوم على العوامل الخارجية والآخرين.
- الإنسان الذي ليس لديه شعور بالمسئولية هو الذي يسمح للعوامل الخارجية بالتأثير على سلوكه.

يُروى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: (لا يكن أحدكم إمعة . يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم) [رواه الترمذي]

قال عز وجل : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [المدثر – ٣٨]

- هؤلاء يرجعون سلوكهم لثلاث عوامل: (*Theory of determinism*)
  ١- **وراثية**. إنسان عصبي يقول لك أسرتي عصبية. *Genetic*
  ٢- **نفسية**. إنسان متأثر بموقف من أيام الطفولة. *Psychic*
  ٣- **بيئية**. إنسان يغضب و يتصرف بعصبية عندما تتأخر زوجته في إعداد الغذاء، وآخر يغضب و يتصرف بعصبية لسائق سيارة كسر عليه في الطريق. *Environmental*

- إذا أردت التغير فلا تبرر لنفسك تصرفاتها الخاطئة لا وراثياً ولا عن موقف سابق ولا للظروف المحيطة. فلابد أن تتحمل المسئولية عن اختياراتك و قدرتك على جعلها موافقة للحق.

قال عز وجل : (إنَّ اللّه لا يُغَيِّر ما بقَومٍ حتّى يُغيّرُوا ما بأنفُسِهِم) [الرعد – ١١]

يُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانيّ) [رواه الترمذي]

- الإنسان الناجح هو الذي يفكر فيما في يده ، أما غير الناجح فيفكر فيما في يد الآخرين.
- بدلاً من أن يسيطر علي التفكير فيما فعله الآخرون في حقي فلأفكر فيما أستطيع أنا أن أفعله.

- تلاحظ أن هناك فرق بين الشعور والسلوك ، فالشعور لا يتحكم فيه الإنسان ولا يحاسب عليه ، أما السلوك الناتج عن هذا الشعور فهو ما يتحكم فيه الإنسان و يحاسب عليه. فعندما نصح النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال (لا تغضب) كان يخاطب السلوك وليس الشعور. ولذلك عندما مات ابنه إبراهيم قال (وإن العين تدمع و القلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا) [رواه البخاري]

إن الحق سبحانه وتعالى لا يتدخل في تيسير أمر أو تعسيره حتى يطلبه الإنسان بصدق أو ينصرف عنه بصدق.
(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى --------> فسنيسره لليسرى
وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى --------> فسنيسره للعسرى) [الليل – ٥ حتى ١٠]

(والذين اهتدوا --------> زادهم هدى واتاهم تقواهم) [محمد – ١٧]
(فلما زاغوا ------→ أزاغ الله قلوبهم) [الصف – ٥]

إذن التدخل الإلهي لا يتم إلا بعد أن يخطو العبد خطوات نحو هدفه وهو هنا رغبته الحقيقية في أن يتغير من داخله. وقد وعد الله (والّذينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وإنّ اللّه لَمَعَ المُتَّقِين) [العنكبوت – ٦٩]

ما أحوجنا أن نعلم علم اليقين أن التغيير بأيدينا ، وأننا مسئولون المسئولية الكاملة عن اختياراتنا ، وأن نصدق النية مع الله على أن نغير من أنفسنا لما أراده سبحانه لنا من عزة وكرامة. (فَلَو صَدَقُوا اللّه لَكَانَ خَيراً لهُم) [محمد – ٢١].

End of Habit One. "**Be Proactive**" or "**You are Responsible**"

Before we proceed together, we need to go back and discuss some ***Foundational Concepts*** that will guide us through our treatment of the 7 habits. These Foundational Concepts are related to the definitions of: *Habit, Character, Personality, Competence, Principle, Value* and *Paradigm.*

I needed to get with the first habit immediately just to let you feel the effectiveness of these habits and their strong relation to our Islamic morals and principles. And now, that I've drove your attention we'll need to spend some time illustrating those Foundational Concepts and reapply them on Habit one before proceeding to other habits.

This will be in another document.

Foundational Principles-*Part: 1*

Developing Habits:

A habit is defined as the intersection of knowledge, skill and desire. *Knowledge* is understanding what to do and why to do it; *skill* is knowing how to do it; *desire* is a motivation for doing it. For anyone to develop a habit, he needs to develop all the three components.

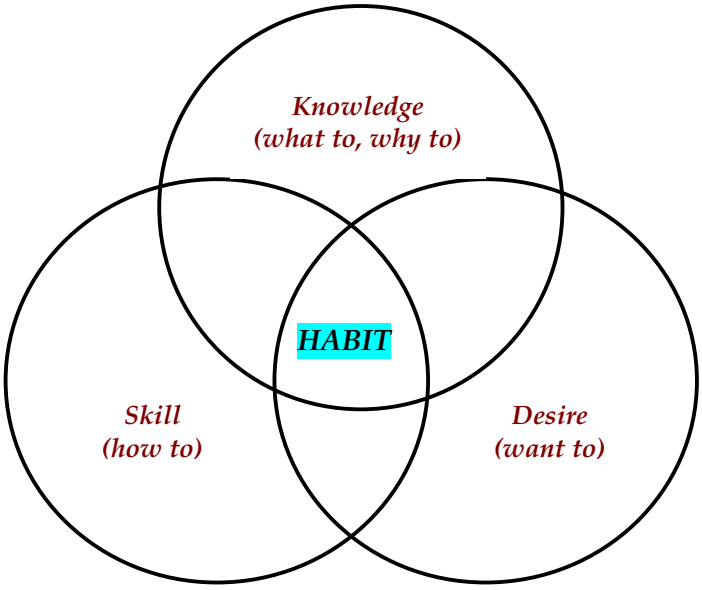

لو طبقنا هذا التعريف السابق على مهمة الدعوة فسنجد أنه لكي تنصح إنساناً بأن يمارس عادة معينة ، ولنسمها الآن خلقاً ، فلابد أن تُعَرِّفَه بها أولاً و تشرح لـه أهميتـها (*العلـم والاقتنـاع*) (*knowledge*) ثـم تُعَلِّمَهُ كيف يمارس هذه العادة (الخلق) بإتقان وكيف يجاهد نفسه حتى تتأصَّل هذه العادة (الخلـق) فـي سلوكه (*المهارة وطرق التطبيق*) (*Skill*) ولا يكفى أن تتركه هنـا إلا بعـد أن تـزرع فيـه الحـب لـهذا الأمـر والرغبة في تحقيقه في نفسه (الرغبة في التطبيق) (*Desire*) وهذه الخطوة قد تسبق كل شئ.
وكم من خطيب في يوم الجمعة لا يتناول موضوع خطبته إلا من جانب (knowledge) فقـط ولا يتطـرق أصلاً لطرق التطبيق و زرع الحب في التطبيق ، فتجد كثير من الناس يعلم الحلال والحرام و تسأله فيقـول لك "ربنا يهدي" (*فاقد الرغبة فلا يريد أن يشعر بالمسئولية عن اختياراته*) أو يقول لك "لا يكلـف الله نفسـاً إلا وسعها" (*فاقد طرق التطبيق فلا يعلم كيف يطبق ما يعلم*).

هذا الأسلوب في الدعوة له إسقاطات كثيرة على منهج التربيـة للأبنـاء ولـه تفصيـل آخـر بـإذن الله ولكـن رجوعاً على المستوى الشخصي فلابد ألا نؤمن بالمثل القائل " الطبـع يغلـب التطبّـع" ولكـن نؤمـن بقـول رسول الله ، صلى الله عليه و سلم " إنّما العلمُ بالتعلُّم ، و الحلمُ بالتحلُّم ، و من يتحرَّ الخيرَ يُعطَه ، و من يتوقَّ الشرَ يُوقَه " [صحيح الجامع] وإلا فأين مجاهدة النفس ؟ وأين (قـد أفلـح مـن زكاهـا وقـد خـاب مـن دساها) [الشمس – ٧ و ٨] وأين أيضاً (فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) ؟ [النازعات – ٤٠ و ٤١]

ولنا في رسول الله ، صلى الله عليه و سلم ، أسوة حسنة ، فقد ربَّى الصحابة على أخلاق الإسلام بعـد أن شبوا على أخلاق الجاهلية ومنهم من جاوز الستين عنـد إسـلامه ، وبـل ومنـهم مـن أسـلم وحسـن إسلامه بعد طولِ صراعٍ مع الدعوةِ ذاتها. فلا يَصِحُّ بأي حـال أن يظـن الإنسـان أنـه قـد فـات الأوان لإصـلاح نفسه وتعويدِه على ممارسة ما فيه خيرٌ لها في دنياها وآخرتها . . .

Character and Personality:

The relationship between character and personality can be illustrated with an iceberg. The tip of the iceberg (personality) is what people see first. Although image, techniques and skills can influence your outward success, the weight of real effectiveness lies in good character.

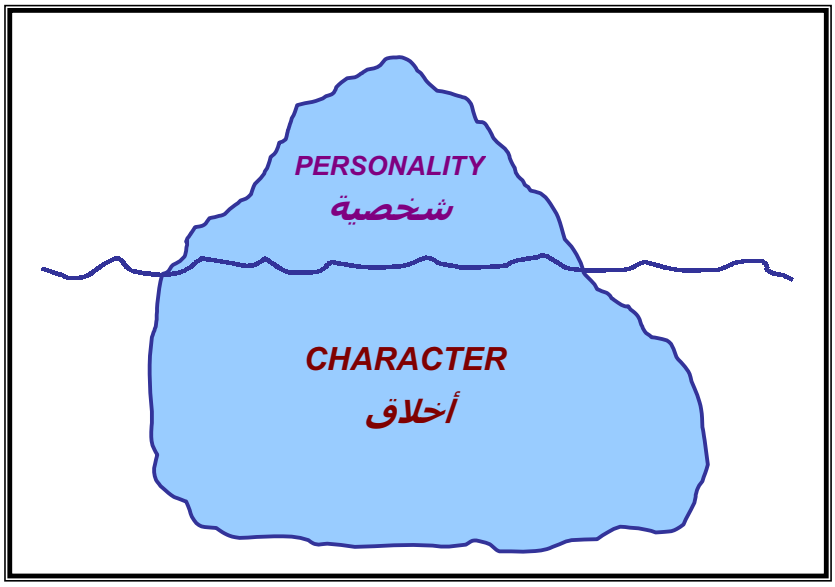

As you see, the foundational base of anyone is his character. Success is achieved through the promotion of this character. His personality will follow what was invested in his character. People who are trying to invest in the personality area have no base to stand over. Regarding the iceberg example, when the sun rises, the tip will melt, and if there is no base, the iceberg would collapse.

Actually, the seven habits invest mainly in the character area of the iceberg. This investment is called the *inside-out approach*. It aims at teaching how to implement the 7 habits in the character area. And it's only through this way that you can reach success.

There are some good quotes to be mentioned here:

1- "*Sow a thought, reap an action;*
Sow an action, reap a habit;
Sow a habit, reap a character;
Sow a character, reap a destiny." - SAMUEL SMILES.

"ازرع فكرة ، تحصد فعلاً ؛
ازرع فعلاً ، تحصد عادة ؛
ازرع عادة ، تحصد خلقا؛
ازرع أخلاقاً ، تحصد مصيرا."

2- " *We first make our habits, then our habits make us* ". The personality will follow character.

هكذا قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق). [السلسلة الصحيحة]

للأسف النجاح اليوم عند الناس شكلي وكلٌ يرى النجاح من منظوره الخاص.
كلٌ يبحث عن وصفة سريعة (personality side) : " *معاملة الناس بالذوق ، المجاملة والكلام الحلو ، التفكير الإيجابي*".هذه الوصفات السريعة مثل الأسبرين ، لا تعالج المرض ولكن تخفف الألم.

ولكن الحق أنه لابد من وصفة عميقة (character side) و هذه الوصفة العميقة تنبع من " الصدق مع نفسك ومع ربك ومع الناس". ومن أجل تحقيق هذه الوصفة العميقة فلابد أن تتبع عادات النجاح السبع التي اتبعها الناجحون على مر التاريخ والتي سنرى سوياً أنها من صميم تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.
هذه الصفات السبع مفادها تهذيب الأخلاق ولهذا فلا يمكن أن تجد إنسان ناجح ، بالتعريف الذي سبق للنجاح ، وهو ليس ذو أخلاق عالية. لا أقول عنده أخلاق ولكن عنده أخلاق عالية ، وهذا ما قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : (إنما بعثت **لأتمم مكارم الأخلاق**). فلا عجب أن لحسن الخلق ما نعلمه من درجات تفوق الصيام والقيام في الأجر والثواب.
طبعاً لا حظ أن العبادة كلٌ لا يقبل التجزيء إلا بعذر ، فما الصيام والقيام إلا مقومات للأخلاق وجهاد النفس. *هذا موضوع آخر.*

Character and Competence

To be truly effective in any area, a person must have a balance of high character and high competence. As people balance these two elements, they build their personal trustworthiness and their trust with others.

الإنسان الناجح هو الذي يملك أخلاق عالية و كفاءة عالية في تأدية واجباته. عند هذه المرحلة فقط يصبح جديراً بالثقة وينال ثقة من حوله.

طبعاً شيء غير صحي أن تجد إنسان على خلق ومع ذلك لا يبرع في عمله ولا حتى يؤدي عمله بالمستوى المطلوب. وهذه آفة فينا نحن المسلمون ، فنحن كثيراً ما نغفل عن فهم تبعات الأمانة التي حملها الإنسان بينما الغرب تفوق في هذا المجال.

مثال:
لك قريب دكتور على خلق حديث التخرج ، و هناك دكتور آخر مشهور قضى سنوات في الخارج متخصصاً في ذات المجال ، وحالتك أنت حرجة ... ...لمن تذهب ؟
هنا قد تفضل أنت الخبرة و الكفاءة (competence) على الخلق (character) ، و لهذا فلابد منهما معاً لتحقيق النجاح.

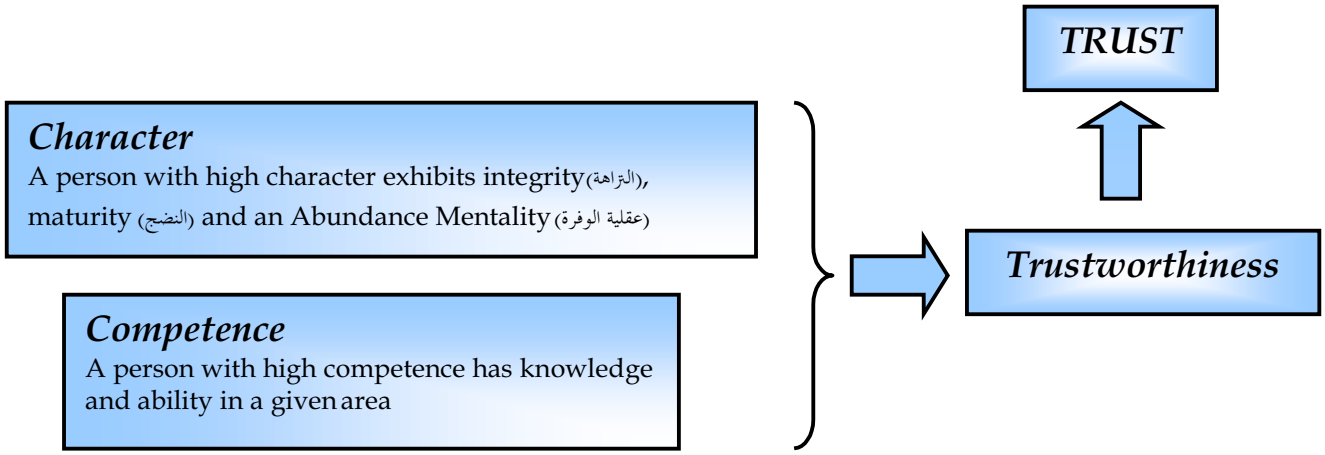

Principles and Values

Principles (المبادئ)
Natural laws or fundamental truths.

- Universal, Timeless.
- Produce predictable outcomes.
- External to ourselves.
- Operate with or without our understanding or acceptance.
- Self-evident.

Values: (القيم)
The worth or priority we place on people, things, ideas or principles.

- Self-chosen beliefs and ideals.
- Internal based on how we see the world.
- Influenced by upbringing, society and personal reflection.

There are some good quotes to be mentioned here also:
"*We are not in control, principles control.*
We control our actions, but the consequences
that flow from those actions are controlled by principles." - STEPHAN COVEY

"*It's impossible to break the law. We can only break ourselves against the law.*"
– CECIL B. DE MILLE

يجب أن نعلم أن الأخلاق من المبادئ.
الصدق ، الأمانة ، النزاهة ، الكرامة الإنسانية ، العدل . . هذه كلها مبادئ لا ترتبط بدين أو فلسفة.
وهذه المبادئ معروفة عند كل البشر في الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولكن عندما تتدخل الأهواء تفسد الفطرة. ولهذا قال تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) [النمل – ١٤] ، إذن هم علموا الحق ولكن تكبروا عليه. أيضاً قالت قريش (إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) [القصص – ٥٧] وهم يعلمون أنه الهدى. وقال تعالى أيضاً عن قوم لوط (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) [الحِجر – ٧٢] ، أغفلتهم وطأءة الشهوة عن اتباع الحق.

إذن هذه المبادئ معروفة لدى كل البشر على مر العصور ، فحتى لو أخذ سارق أكثر من نصيبه في حصيلة سرقة مع زملائه لاتهموه بالسرقة واعتبروها خيانة مع أنهم يعيشون على سرقة الناس.
إذن **:** *"It's impossible to break the law. We can only break ourselves against the law."*

We are still left with the definitions of:
- Paradigm.
- P/PC balance.
- Emotional bank account.
- And the Maturity Continuum.

This will be in the second part of the foundational concepts ISA.

Foundational Principles-*Part: 2*

Paradigm:

It's believed that individuals are products of learning and experiences, and that no two individuals share the same knowledge base or the same set of experiences. Individuals never fully understand another's frame of reference, know all the detail or have the entire facts straight. Consequently, no two people share identical paradigms.

Quote: *"We see the world through ourselves, but we don't see the world as it is".*

> ***Paradigm:*** (الرؤية و التصور الشخصي)
> *The way an individual perceives, understands and interprets the surrounding world; A Mental Map.*

*I believe that the definition of paradigm deserves more detail, because I see this as a critical definition. Actually after I took the 7 habits course, I found a misunderstanding of the word. You find someone saying," **In my paradigm, I see…so and so**" and I tell him "**OK, but it's wrong to…so and so**", so he quickly replies "**It's in your paradigm that it's wrong, not in my paradigm, and no two people share the same paradigm. You see the world through yourself, and not as it is**".*
Funny isn't it...☺

لابد أن نكون حريصين أشد الحرص في التعامل مع الثقافة الغربية ، لأن الفهم الخاطئ عندما يقترن بالإعجاب الشديد فإنه يؤدي إلى عواقب مدمرة لازلنا نعاني آثارَها حتى الآن كشعوب إسلامية.

Let's understand that paradigms are deeper than attitude and behavior. It relates to interpretations of events around us, our viewpoints and our insights. People can be different in their viewpoints, but at the end, the truth is unique. The truth may be in only one viewpoint or in a collection of viewpoints, but other viewpoints are certainly wrong. The criteria is to what you are referencing your viewpoint, and in your true understanding of that reference.
I believe that: "***Paradigms are not principles but differences are***"

"عندما غدرت يهود بني قريظة بالمسلمين في غزوة الأحزاب ، لعنهم الله و النبيون والناس أجمعين ، جاء سيدنا جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهر في اليوم الذي رجع فيه إلى المدينة وهو في بيت أم سلمة و قال (أو قد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتهم ، وما رجعت الآن إلا مِن طَلَبِ القوم ، فانهض بمن معك إلى بني قريظة ، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم ، وأقذف في قلوبهم الرعب ، فسار جبريل عليه السلام في موكبه من الملائكة. (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم و قذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون ، و تأسرون فريقا) [الأحزاب - ٢٦]
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس : (من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصَلِّيَنَّ العصر إلا في بني قريظة). فنهض المسلمون من فورهم امتثالاً لأمره ، أكرمهم الله مِن خَلَف ، وأدركتهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : "*لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا*" حتى أن رجالاً منهم صلوا العصر بعد العشاء ، وقال البعض الآخر : " لم يرد منا ذلك ، وإنما أراد سرعة الخروج" فصلوها في الطريق. "
[الرحيق المختوم – المباركفوري]

الشاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضي من كل فريقٍ رأيَه.

هذا مثال على اختلاف الرؤية (*paradigm*) في الفهم (*interpretation*) واتفاقها على الطاعة لرسول الله (*principle*) .

بنفس هذا الأسلوب في الفهم ، نجد أن المذاهب الأربعة في الإسلام هي مجرد اختلافات رؤية و فهم أيضاً (*paradigm*) ولكنها تتفق مع المبادئ (*principles*).

I see that, there must be a set of principles that our paradigms can refer to and comply with. After that, we must allow for other explanations and viewpoints because these are experience-dependent and are certainly different.

إذن ، رؤيتنا للدنيا من حولنا يجب أن تنبع من مبادئنا وقيمنا الإسلامية ومع ذلك فلابد أن نسمح بحرية التفكير والاستماع للرأي الآخر طالما هذه الحرية وهذا الرأي لا يخالفا المبادئ.
(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين). (هود – ١١٨)
لو أن رؤيتنا للدنيا من حولنا لا تنبع من مصدر واحد نؤمن به ونثق فيه ، إذن يكون هناك خلل واجب الإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم ليس لنا من الأمر شئ. (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين). (القصص – ٥٦) (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مهتدون). (النمل – ٨١)

هذا ما سبق ، ولكن في القصة التالية إشارة أكثر عمقاً لمفهوم الرؤية:

قصة:
تخيل رجل في محطة القطار وهناك جمع قليل من الناس منهم من يقرأ ومنهم من يتكلم مع رفيقه في صوت خافت والجو يسوده الهدوء وهو جالس ينتظر.
فجأة انطلق أربعة صبية في المحطة يلعبون ويلهون بصوت عال وأبوهُم قادمٌ ورائَهم.
جلس الأب إلى جوارك منكساً رأسه وأطفاله قد أثاروا من الإزعاج للناس ما جعلهم جميعاً في ضيق و غضب.

" أرجو من يقرأ أن يمكث دقيقة قبل إكمال القراءة ويسأل نفسه: ما رأيه في هذا الأب؟ وما يجب عليه أن يفعله من منطلق الشعور بالمسئولية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "

أحسبكم جميعاً تقولون أنه أب فاشل لا يعلِّم أولاده احترام الناس ولا يعرف شئ عن مسئولية التربية.
الآن ، هذه هي رؤيتنا لهذا الموقف. (This is our Paradigm).

أقبل صاحبنا على الرجل وقال **بأدب** " *يا أخي أولادك قد أزعجوا الناس ، هلا نهرتهم عن ذلك*؟!"
نظر الرجل إليه بعين يكسوها طول السهر والتعب وقال:"*أنا آسف .. ولكننا .. قد غادرنا المستشفى الآن .. و .. قد ماتت أمهم وهم لا يعلمون*".

الآن ما هي رؤيتكم للموقف؟

This is what is called a ***paradigm shift***. The anger of our friend here would turn to himself and he would spend the night thinking how to help this poor man.

Now, I want you to reconsider this story, and think what would happen if our friend did not use ***POLITE*** *words. I think there would have been a great struggle between the two men, because our friend didn't try to understand the paradigm of the father in not letting his children sit down in quite.*

لهذا قال الحق سبحانه وتعالى لموسى وهارون عليهما السلام في دعوتهما لأكفر أهل الأرض ، فرعون ، لعنه الله : (فقولا له قولاً ليناً ، لعله يتذكر أو يخشى). (طه – ٤٤)

نحن ننظر للحياة من خلال مفهومنا نحن ، ولكن إذا أردت أن يَفهمَك الناس ، فلابد أن تفهمَهم أنت أولاً.
فلا يصح أن تحكم على النّاس إلا بعد أن تفهمَ رؤيتَهم ، وتضع نفسَك مكانهم ، ثم تنظر ماذا ترى؟

Paradigm Shift: (تغير الرؤية و الإدراك)

The right way to change a person's behavior is to change his/her paradigm. How they define themselves? How they see their role? How they accept their responsibility and act accordingly?

There are some good quotes to be mentioned here:

"*Always try to teach the principle, not the act*" - STEPHAN COVEY

"*Give a man a fish, you feed him for the day; teach him how to fish, you feed him for a lifetime*" – LAO-TZU

نلاحظ أن مهمّة الرسل والأنبياء ، بعد تبصير الناس بخالقهم الواحد الأحد ، هي إحداث هذا التغيير في الرؤية والإدراك (*paradigm shift*) المتمثلة في تغيير القيم السائدة الفاسدة وجعلها موافقة للمبادئ.

مثلاً ، قبل الإسلام ، تعارف الناس على وأد البنات ، معاملة المرأة كمتاع يُورَّث ليس له حق في أي شئ ، الحُرّة لا تزني ولكن الأمَة تزنى ، شرب الخمر ، أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، الرق. كل هذا كان من القيم السائدة قبل الإسلام والتي أخذ بعضها فترة داخل الإسلام لكي تتغير رؤية المسلمين أنفسهم لها (شرب الخمر مثلاً).

إذن نخلُص أن طرق الإصلاح لا تكون بفرض قيمنا على الآخرين ولكن بإقناع الآخرين بقيمنا. ومبدأنا نحن المسلمون في الإقناع قائم على : (قل هاتوا برهانكم) لأننا على يقين كامل بأن ما نتّبعه هو الحق.

قد نعود لتفصيل حول الحوار في الإسلام عند تناولنا للعادة السادسة بإذن الله. (Seek first to understand then to be understood)

P/PC Balance: (التوازن بين الإنتاج والقدرة على الإنتاج)

Effectiveness is a balance of two things:

Production Capability (القدرة على الإنتاج)
Maintaining, preserving and enhancing the resources that produce the desired results.
(The goose or PC)

→ ***Yourself***

Production (الإنتاج)
The desired results produced.
(The golden egg or P)

← ***Your Performance***

هناك قصة مشهورة عن فلاح وجد أن أوزته باضت ذهباً في الصباح فباع البيضة الذهب وعَجب لذلك. في الصباح التالي وجد بيضة أخرى من الذهب فعجب أشدّ العجب ثم باعها أيضاً. هذا الفلاح بعد فترة أهمل كل حيواناته في المزرعة إلا أوزته الذهبية و أصبح يصحو من نومه قبل الأوزة ويستعجل البيضة قبل أن تبيضها. ثم سأل نفسه ذات يوم "ماذا لو ذبحت الأوزة وحصلت على كل ما فيها من ذهب؟!"
ذبح صاحبنا الأوزة فلا هو وجد الذهب ولا عادت الأوزة تبيض ذهبا.

يجب ألا نستعجل النتائج بدون النظر إلى كيفية تحقيق هذه النتائج.
تعالوا نطبق هذا الأمر على نواح مختلفة.

في الزواج: الإنسان الذي يكدح ليل نهار من أجل المال (*production*) الذي هو لازم لمتطلبات المنزل وتلبية رغبات الأولاد و الزوجة ، ينسى أنّ علاقته بزوجته و أولاده (*production capability*) هي الأساس في استقرار هذا الزواج ، فلا يصح أن ينشغل بعمله إلى القدر الذي يهمل فيه علاقته بزوجته و أولاده ، و إلا فإن هذا الزواج سيكون عرضة للانهيار.

لمثل هذا أقَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيحة سلمان الفارسي لأخيه أبي الدرداء ، رضي الله عنهما ، حينما شغله حبه للصيام والقيام عن أهله فقال له (إن لربك عليك حقا و لأهلك عليك حقا ، و لنفسك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه). [رواه البخاري]

في تربية الأولاد: نحن نرجو من أبنائنا الالتزام الأخلاقي والتفوق الدراسي. (النتائج).
مصدر هذه النتائج هو علاقة الآباء بأولادهم.
هل يطيع الأبناء آبائهم عن اقتناع أم بسبب الخوف من الضرب والإهانة؟

الحق أن يطيع الأبناء آبائهم براً لهم و حباً فيهم و أن يدرسوا اقتناعاً بالدراسة وليس خوفاً من آبائهم و ضغطهم عليهم.
إذن ، يجب ألا نجبر أبنائنا أن يكونوا نسخاً منا أو أن يحققوا ما نريده نحن لهم ، و لكن نَعلَم أنّ لهم طموحات و قدرات و رغبات تختلف عنا.

في رغبة إصلاح أبنائنا ، نحن نريدهم أن ينجحوا لكي نثبت أننا آباء صالحين وننسى أن لهم طموحات و قدرات مختلفة. الأم التي تقول لابنها " ادخل كلية الطب علشان أتشرّف بيك ، على غير رغبته ، تدمّر مستقبله" و أنا كان لي صديق ، أصلح الله حاله ، دخل كلية الصيدلة و كان يأتينا في كلية الهندسة ويحاول أن يتعلم بعض المواد معنا ومع أنه ينجح في صيدلة بامتياز أو جيد جداً إلا أنه كان دائماً مهموماً لأنه كان يريد أن يكون مهندساً و قد نصحته خطئاً بأن يركز في دراسته و كان يجب أن أشجعه على أن يتركها و يلتحق بكلية الهندسة لأن مثل هذا لا يمكن أن يبدع في مجال الصيدلة ، ونحن كَأمّة بحاجة إلى طاقات كل المبدعين.

" الأم تذاكر لابنها ٤ ساعات يومياً لكي يكون من المتفوقين ، لا تدري أنها تدمّره بهذا الأسلوب و تعلّمه ألا يعتمد على نفسه"، "الأب يعنف ابنه لأن درجاته في الرياضيات ضعيفة". و هل من الشرع أن ينجح كل الأولاد بتفوق في الرياضيات؟ من يؤمن بهذا؟! لم لا تبحث لابنك عن المجال الذي له فيه موهبة و تساعده على تنميتها بدلاً من مطالبته بما لا طاقة له به ، لمجرد أن المجتمع وضع فلسفة خاطئة للتعليم؟!
يجب أن نأخذ حذرنا في أن الضغط على الأولاد قد يدفعهم للانحراف.

فلنتعامل مع أبنائنا على أساس الحب غير المشروط وليس على أساس "لابد أن تحقق طموحاتي أنا لكي أحبك". هل أنا حريص على نجاحه هو ، أم أنا حريص على نجاحي أنا كأب ؟!
هذه الحرية بالطبع لا تنطبق على الالتزام الأخلاقي و تربية الأولاد على طاعة الله ورسوله ، أنا لم أقصد هذا.

مثال شخصي من الرياضة: (P/PC Balance)
في أحد بطولات التايكوندو (لمن لا يعرفونها ، هي لعبة قتالية مثل الكاراتيه) كان هناك لاعب قوي و سريع و ذو مهارة عالية جداً. هذا اللاعب كان حقاً مرعباً داخل الملعب لأنه يلعب على الضربة القاضية.
مشكلة هذا اللاعب ، في نظري ، كانت أنه يستعمل تكنيكات عالية بسرعات عالية في الهجوم على خصمه بدون داعي إلا للقاضية و أنا أرفض هذا الأسلوب في الرياضة عامةً.
بعد أحد مبارياته قلت له: "*كويس يا فلان بس بالرّاحة شوية*" فقال : "*أصلي مستعجل*" فقلت : "*لأ كده تتعوّر*".
في مباراته التالية لعب مع لاعب ليس ذو مهارة عالية ، بل لا يجيد اللعب أصلاً.
(المعروف في التايكوندو أنك لا تستعمل تكنيكات عالية مع لاعب منخفض المهارة مخافة الإصابة)
الذي حدث ، أن خيم الحزن على البطولة عندما أصيب هذا اللاعب بكسر كلّي في قصبة الساق نتيجة وضع خاطئ من اللاعب الآخر وقوة ضربة صاحبنا.
هذا اللاعب دمّر قدرته على الإنتاج لأنه كان يستعجل النتائج ، تماماً مثل صاحب الأوزة.

What I believe in, and what I advice the Taekwondo Players of, is that after you acquire the basic martial techniques and be in a good athletic form, you can win any match, only if you knew well your capabilities and used your mind in exhausting all of them and also knew well how to play with low-technique players and high-technique players. That's why it's said that: "*To win once; that's easy, but to keep winning; that's hard*".

You don't need all that power and all that speed to win and you don't have to use high techniques. All that you need is to effectively use your own capabilities. That means using your mind in a better way. Let's rephrase this, "*Don't try applying higher capabilities than yours; you should first know your own capabilities and after that work your best to enhance them*". I believe in this, because this was my style of winning in the game, and I've seen players who won by the same style; so it's a winning style.

لو تأمّلنا الآن أمر الحق سبحانه وتعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) [الأنفال- ٦٠] ، لأدركنا أننا غير مطالبون بتحقيق أكبر قوة للنصر على أعدائنا ولكننا مطالبون بالسعي نحوها.
المحك ليس في تحصيل أكبر قوة ، ولكن في حسن استخدام القوة المملوكة لتحقيق أكبر كفاءة ممكنة مع السعي المتواصل لزيادة هذه القوة.

كإضافة أخرى من مجال الرياضة في أساليب الفوز (النجاح):
إذا تأملنا سباقات المائة متر عدواً ، فإننا نجد:
لاعب ذو سرعة انطلاق أعلى من منافسيه و ذو سرعة إنهاء للسباق أبطأ من منافسيه و يفوز أو يخسر. و لاعب آخر ذو سرعة انطلاق أبطأ من منافسيه و ذو سرعة إنهاء للسباق أسرع من منافسيه و يفوز أو يخسر.
يجب ألا نفقد الثقة في بطء البداية أو حتى تعثرها فقد نختم بما هو خير كله. وأيضاً يجب ألا نغترّ بسرعة البداية فقد نختم بما هو شر كله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل النار فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل الجنة فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة فمات فدخلها) [مسند أحمد]
(هذا الحديث لا يجوز أن يُفهم منه أن الإنسان مُسَيَّر و ليس مُخَيَّر . . هذا موضوع آخر)

في تربيتنا لأبنائنا ، يجب ألا نقسوا عليهم إذا تعثرت بداياتهم حتى لا نحبطَهم أو نفقدَهم الثقة في أنفسهم ، فأديسون صاحب الـ١٠٩٣ براءة اختراع مكث في المدرسة ثلاثة أشهر فقط و كان محكوماً عليه بالفشل ، وأينشتين رسب في الرياضيات ثلاث سنوات متتالية.

We are still left with the definitions of:
- Emotional bank account.
- Social Mirror.
- And the Maturity Continuum.

This will be in the third part of the foundational concepts, In Sha'a Allah.

Foundational Principles-*Part: 3*

The Maturity Continuum:

Follows is the Maturity Continuum as designed by Dr. Stephan Covey:

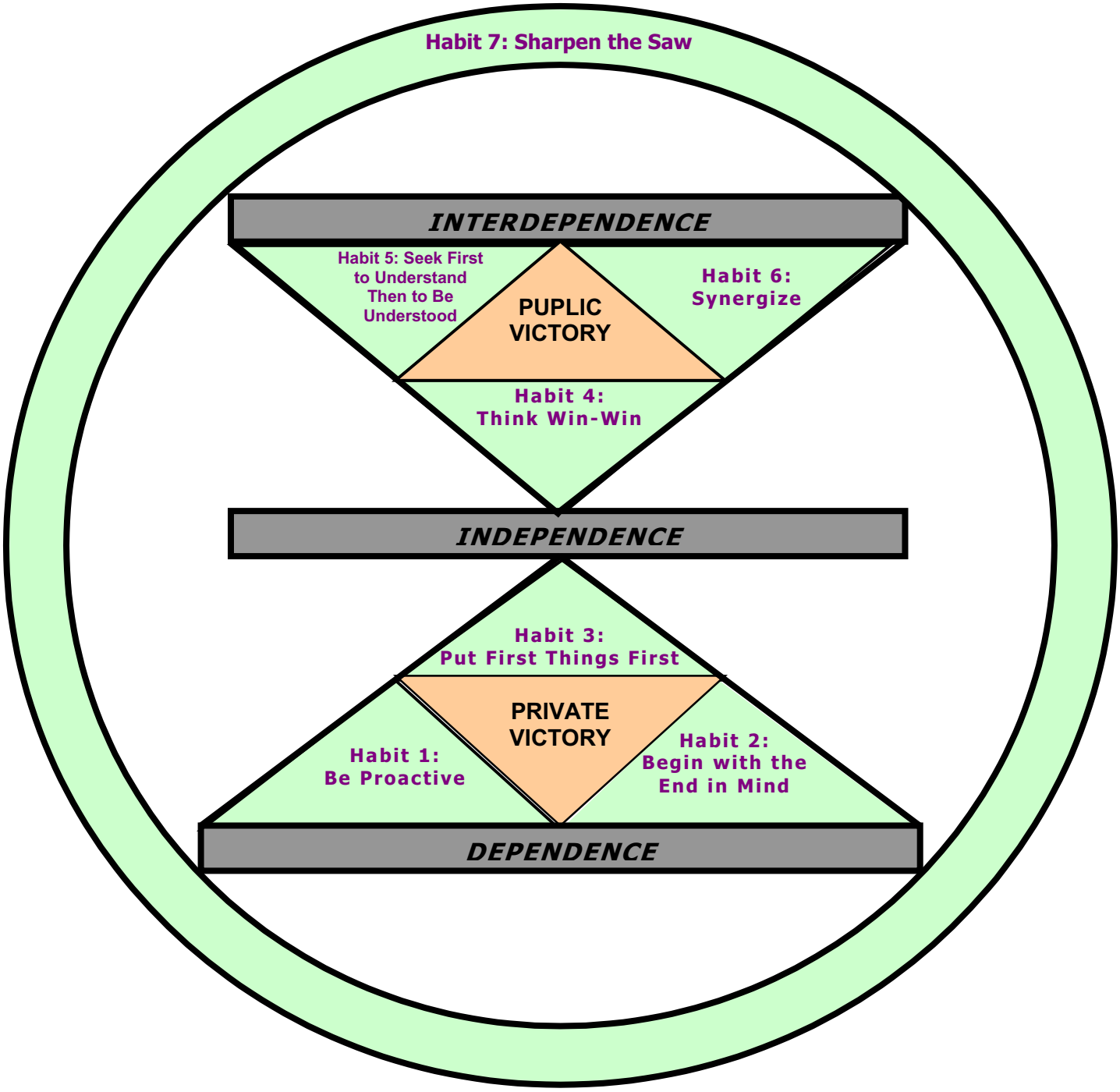

The Maturity Continuum shows the relationships among the 7 Habits, Public Victory and Private Victory, and stages of interdependent progression.

Private Victory: *We experience the Private Victory when we learn self-mastery and self-discipline.*
Public Victory: *We reap the Public Victory when we build deep, lasting, highly effective relationships with other people.*

As it was said before, and from the following graph, success is achieved as the person moves from depending on others (*Dependence*) towards depending on himself (*Independence*), and from depending on himself towards cooperating and integrating with others (*Interdependence*).

The first three habits address this shift from depending on others (*You-oriented behavior*) towards depending on yourself (*I-oriented behavior*), and the next three habits address the shift from depending on yourself towards cooperating and integrating with others (*We-oriented behavior*).

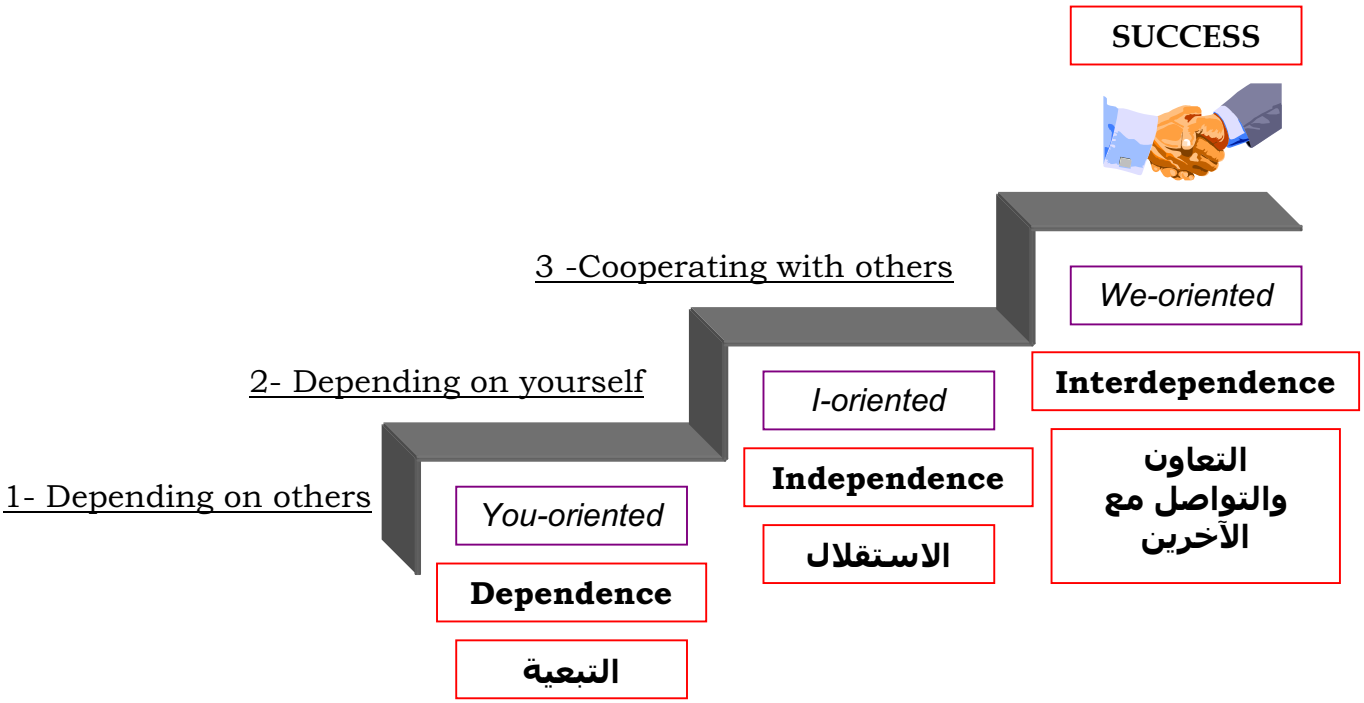

كما يتبين مما سبق ، فإن هناك مرحلتان أساسيتان في سبيل الوصول إلى النجاح ، وهما :
١ – **مرحلة الاستقلال** . (أن ترفض التبعية المطلقة في الفكر و الاعتقاد و السلوك لما يخالف الحق)
٢ – **مرحلة التعاون والتواصل مع الآخرين**. (أن تتوحد طاقاتك مع أمثالك في سبيل التعاون على البر والتقوى وما فيه خيرٌ للناس سواء في معاشهم أو آخرتهم).

لنُؤجِّل مرحلة التعاون و التواصل مع الآخرين و لنضرب مثالاً على الوصول إلى مرحلة الاستقلال من السيرة . تعالوا نعيش مع سيرةِ واحدٍ من **الرجال** الذين نصروا اللّه ورسولَه وأخلصوا للّه ما قالوا وما عمِلوا لنرى كيف نطبِّقُ هذه المفاهيم على سيرتِهِ عند إسلامه.
تعالوا نقرأ عن سيد من سادات قبائل العرب ، وشريفٍ من أشرافهم .
إنه **الطفيل بن عمرو الدَوسِي**ّ ، سيد قبيلة دَوس الذي أسلم على يديه أبو هريرة أشهر رواة الحديث.
ولكن قبل ذلك ، أريد أن أسرد معنىً مختصراً للعادات الثلاث الأولى.

1- Be Proactive : " You are responsible" (أن يتملكك الشعور بالمسئولية و أخذ زمام المبادرة)
2- Begin with the End in Mind : (ضع الغاية أمامك قبل الإقدام على عملك)
3- Put First Things First : (رتب أولوياتك و قَدِّم الأهم على المهم)

لنترك الحديث الآن للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في كتابهِ الرائع أسلوباً وإخراجاً "**صور من حياة الصحابة**" ، إذ يقول:
" غادَرَ الطفيلُ منازلَ قومِهِ في تِهَامَةَ متوجهاً إلى مكّة ، ورَحَى الصراع دائرةٌ بين الرسولِ الكريم صلواتُ اللّه وسلامه عليه و كفّار قريش ، كلٌ يريدُ أن يكسبَ لنفسِهِ الأنصار ، ويجتذبَ لحزبهِ الأعوان...
فالرسولُ الكريم صلواتُ اللّه وسلامه عليه يدعو لربهِ وسلاحُهُ الإيمانُ والحقُّ.

وكفّار قريش يقاومون دَعوتَهُ بكل سلاح ، ويصدُّون النّاسَ عنه بكل وسيلة.
ووجد الطفيلُ نفسَهُ يدخل في هذه المعركة على غير أهبَةٍ ، ويخوضُ غِمَارَهَا عن غير قصد ...
فهو لم يقدم إلى مكة لهذا الغرض ، ولا خَطَرَ له أمرُ محمدٍ و قريش قبلَ ذلك على بال.
ومن هنا كانت للطفيل بن عمرو الدوسِيّ مع هذا الصراع حكايةٌ لا تُنْسى ، فلنستمع إليها ، فإنها من غرائب القصص .

حدث الطفيل فقال :
قدمت مكة ، فما أن رآني سادةُ قريش حتّى أقبلوا عليّ فرحَّبوا بي أكرمَ ترحيب ، وأنزلوني فيهم أعزَّ منزل.
ثم اجتمع إليّ سادتُهُم وكبرائُهُم وقالوا : يا طفيل ، إنك قد قدمت بلادَنا ، وهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ قد أفسدَ أمرَنا ومزَّقَ شملنَا وشتَّتَ جماعَتَنَا ، ونحن نخشى أن يَحِلَّ بك و بزعامتك في قومِك ما قد حلّ بنا ، فلا تُكَلّمَ الرجل ، ولا تَسْمَعَنَّ مِنه شيئا ، فإنَّ له قولاً كالسحر : يُفَرِّق بين الولدِ وأبيه ، وبين الأخ وأخيه وبين الزوجة وزوجها.

قال الطفيل :
فوالله ما زالوا بي يقصّون عليّ منِ غرائبِ أخباره ، ويُخوّفونني على نفسي وقومي بعجائب أفعاله ، حتّى أجْمَعْتُ أمري على ألا أقترب منه ، وألا أكلّمه أو أسمعَ منه شيئا.
ولما غَدَوْتُ إلى المسجد للطواف بالكعبة ، والتَبَرُّكِ بأصنامها التي كنّا إليها نحُجُّ وإياها نُعَظِّم ، حَشَوْتُ في أذني قطناً خوفاً من أن يلامسَ سَمعي شئٌ من قولِ مُحَمَّد.

لكنّي ما أن دخلتُ المسجد حتى وجدتُه قائماً يصلّي عند الكعبة صلاةً غيرَ صلاتِنا ، ويتعبَّدُ عبادةً غيرَ عبادتِنا ، فأسَرَنِي منظَرُه ، وهَزَّتنِي عبادتُه ، ووجدتُ نفسي أدنو منه شيئاً فشيئاً على غير قصدٍ منّي حتّى أصبحتُ قريباً منه . . .

وأبى الله إلا أن يصلَ إلى سمعي بعضٌ مما يقول ، فسمعتُ كلاماً حَسَناً ، و قلتُ في نفسي :
ثَكِلَتْكَ أمُّك يا طفيل ... إنك لرجُلٌ لبيبٌ شاعر ، وما يَخْفَى عليك الحَسَنُ من القبيح ، فما يمنعُك أن تسمعَ من الرجل ما يقول... ؟!
فإن كان الذي يأتي به حسناً قَبِلْتَه ، وإن كان قبيحاً تركتَه... !

قال الطفيل : ثم مكثتُ حتى انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى بيتهِ ، فتَبِعْتُهُ حتى إذا دخل دارَه ، دخلتُ عليه ، فقلت :

يا مُحَمَّد ، إنَّ قومَكَ قد قالوا لي عنك كذا و كذا ، فوالله ما برحوا يُخَوِّفُونني من أمْرك حتى سَدَدْتُ أذُني بقطن لئلا أسمعَ قولَكَ ، ثم أبى الله إلا أن يُسْمعني شيئاً منه ، فوجدتُهُ حَسَناً ... فاعرض عليّ أمرك...

فعرض عليّ أمرَه ، وقرأ سورةَ الإخلاص والفلق ، فوالله ما سمعتُ قولاً أحسَنَ من قوله ، ولا رأيتُ أعدلَ من أمره .
وعند ذلك بسطتُ يدي له ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، و دخلتُ في الإسلام. "

لندع الطفيل الآن يتنعم بما يتنعم به الشهداءُ عند ربهم في جنَّاتِ النعيم إذ قُتِلَ شهيداً في معركة اليمامة من حروب الردة ، و لنتأمّل قصةَ إسلامه...

هل كان الطفيل تابعاً لفكر غيره أو تقليدٍ متبع حين استمع إلى رسول الله ؟
هل استقلّ بفكرهِ و رأيهِ و أراد أن يتبع الحقَّ حيث يكون أم استقلّ بفكره و رأيه لما يوافق هواه ؟
هل كان "لنصائح" كفار قريش أثرٌ في إثناء الطفيل عن إعادة التفكير فيما يقولون أم أنه سلَّم بما قالوا ولم يأبه له ثانية ؟
هل كانت الدعاية و وسائل الإعلام المغشوشة في عصر الطفيل تُضعِف من ثقته في قدرته على التفريق بين الحق و الباطل؟

يستطيع أيٌّ منا أن يرى أن الطفيل بن عمرو قد تحققت فيه الثلاث صفات الأولى من صفات النجاح والتي كانت من عاداته في الجاهلية و التي رفعته من مرحلة التبعيّة العمياء لما يقولهُ كفّارُ قريش إلى مرحلة الاستقلال و عدم الإذعان إلا للحق.

أولاً : الشعور بالمسئولية وأخذ زمام المبادرة:
شعر الطفيل بأنه مسئولٌ عن اختياراته وأنه لا يغني عنه ما يقولهُ كفّارُ قريش من شيء حينما قال:
"ثَكِلَتْكَ أمُّك يا طفيل ... إنك لرجلٌ لبيبٌ شاعر ، وما يَخْفَى عليك الحَسَنُ من القبيح ، فما يمنعُك أن تسمعَ من الرجل ما يقول ... ؟! "
حينئذٍ فقط ، نفض عن نفسه غبار المؤثرات الخارجية ، وبدأ يتعامل مع الموقف بعقلِهِ لا بهواه.

كثيرٌ مِنّا يسمح للآخرين بالتأثير على آراءه و اختياراته ، و هؤلاء الآخرون قد يكون منهم مقالة جاهل في الصحف و المجلات ، و قد يكون منهم آراء سفيه ممن يستضيفونهم في الإذاعة و التلفزيون. وهؤلاء هم خلفاء أبي لهب و أشباهِهِ الذين يصدون عن سبيل الله بغير علم و يبغونها عوجا ، فَضَلّوا و أضَلّوا و ما يزيدون أنفسهم إلا ضلالا ...

ثانياً : ضع الغاية أمامك قبل الإقدام على عملك:
لقد وضع الطفيل أساساً لما سيحاورُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم و لم يسمع منه على سبيل التجربة التي قد تختلط فيها الأهواء ، و جعل هذا الأساس هو ظهور الحق ، إذ قال:
"فإن كان الذي يأتي به حسناً قَبِلْتَه ، وإن كان قبيحاً تركتَه ... ! "

من الناس من يستمع إلى الحق لا ليتّبعه و لكن ربما لأنّه ليس وراءه ما يفعله في تلك اللحظة ، فلا مانع من شغل الوقت بما اصطلح الآباء و المجتمع على سماعه حتّى إذا ما سمع ما لا يعجب هواه الهابط و منطقه الفاسد ، راح يهاجم و يجادل بلا حُجّة و لا دليل شرعي. أمثال هؤلاء لم يُخلصوا النية من البداية و إنما استمعوا بأهوائهم و ليس بعقولهم. "إنّما كانَ قَولَ المُؤمنينَ إذا دُعُوا إلى اللّه ورسولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم أن يَقُولوا سَمِعنا و أطَعنا و أولئك هم المُفلِحُون" [النور - ٥١] "فَلا وربِّكَ لا يُؤمِنونَ حتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بينهم ثمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ و يُسَلِّمُوا تَسْلِيما" [النساء - ٦٥]

ثالثاً : رتّب أولوياتك و قدِّم الأهم على المهم:
لقد قطع الطفيل مسافةً طويلة في قيظ الصحراء إلى مكة ليطوف بها على مِلّةِ الجاهلية و ليَتَبَرَّك بأصنامها ، و هِيَ في نظره عبادة تستحق هذه المشقة ، ولها من الأهمية في قلبه مكان.
ولكن في نظر الطفيل ، أنهّ إن كان ما يقولُهُ محمدٌ حقا ، فسيروحُ كلُّ جهده هذا هباءً منثورا ، ولن ينفعه هذا السفر و هذا الطواف بشيء ، فكيف لا يتبين صدقَ هذا الأمر بنفسه أو كذبَه؟! و لتتأجل هذه العبادة التي قد يتبين ضلالها حتى يستبين الأمر. انظروا لقوله :
"لكنّي ما أن دخلتُ المسجد حتى وجدتُه قائماً يصلّي عند الكعبة صلاةً غيرَ صلاتِنا ، ويتعبَّدُ عبادةً غيرَ عبادتِنا ، فأسَرَنِي منظَرُه ، وهَزَّتنِي عبادتُه ، ووجدتُ نفسي أدنو منه شيئاً فشيئاً على غير قصدٍ منّي حتّى أصبحتُ قريباً منه . . . "

هكذا نرى كيف يستقل الإنسان وكيف يقبل مسئوليته عن حياته و آخرته ، ولئن صَمَّ أذنه عن الحق فترة فلا يزال لديه المقدرة على تمييزه و إبصاره ، إذا صحت نيته و استقامت فطرته و صلحت مع الله سريرته ، فلا يستوي الخبيث والطيب و لو أعجبك كثرة الخبيث ، و الحَقُّ أحَقُّ أن يُتّبَع و لو كره المنافقون و المشركون ، عليهم لعنة الله في الدنيا والآخرة و لن يجدوا لهم من دون الله ولياً و لا نصيرا. و لقد جاءتهم آيات الله مبصرة فجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا ، ألا إنهم هم الخاسرون. "و لَقَد سَبَقَت كَلِمَتُنَا لِعِبادِنا المُرسَلين ، إنَّهم لَهُمُ المَنْصُورونَ ، و إنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبون " [الصافات – ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣]
" فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه إنَّ الله عزيزٌ ذو انتِقَام " [إبراهيم - ٤٧]

The Social Mirror: (نظرة المجتمع)

The social mirror is a metaphor for the way we see ourselves, because others reflect their perceptions, opinions and paradigms about us through their words and behavior. From the social mirror we form judgements (e.g. *I'm not a creative person* or *I'm good with numbers*). Because the social mirror is a reflection of our memories of how others see us, it's often inaccurate and limiting. Our real potential, on the other hand, can best be drawn from our imagination. While memories constrain, imagination is limitless.

في قصة الطفيل ما يشير إلى تأثره في البداية بدعايات كفار قريش ثم إفاقته بعد ذلك ، ولكن لنأخذ مثالاً آخر.
المَرْأة المُحَجَّبَة حجاباً شرعياً في أي مكان ، عن طمأنينة إيمان و ليس عن تقليد مُجتمَع أو طاعة لأحد بغير يقين ، هِيَ خيرٌ من يضرب بعَرْضِ الحائط نظرة بعض من أبناء المجتمع الخاطئة لها فما هي هذه النظرة ؟
هذا بعضٌ مِمّا يقوله وما يعتقده الذين في قلوبهم مرض ، هداهم الله :

- من المتبرجات من تنظر إليها فتسخر منها مع أقرانها و يقلن إنها رَجعِيّة و شاذة عن المجتمع. وهل في الرجوع إلى الحق مذلة ؟! ألا إنهم هم السفهاء ، سَخِرَ الله منهم ...
- يُنظر إليها فيُظَنُّ أن لا أمل لها بالزواج و تُأمَر و تُنصح ألا ترتدي **زي الوقار الإسلامي** حتّى تتزوج. فلتفْعَل ... ولكن هناك رجالاً يبحثون عن **ذات الدين** ، فهنيئاً للطيبين بالطيبات و هنيئاً للطيبات بالطيبين.
- مِن المتبرجات من تقول في الصيف "كيف تتحمّل هذه الفتاة هذا الحَرّ و هِيَ تتغطى بكل هذه الملابس ، أما أنا فأشعر بالحيوية و الانطلاق و النشاط " ... زادكِ الله نشاطاً في طاعته...
- مِن هؤلاء مَن تقول " أمرني والديّ ألا أتحجّب وهما يغضبان إذا تحجبت ، و بر الوالدين من الإسلام". ألا تعلمين أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؟! أم زين لك هواك ذلك ؟
- مِن هؤلاء مَن تقول "إنها ترتديه فقط في رمضان أما أنا فلن أرتديه حتى أقتنِع ". اعلَمِي أنّه من يرد الهدى يهده الله ، ومن يرد الضلالة يضله الله ، و من تمادى في ضلاله يختم الله على قلبه. و هؤلاء حقّ عليهم قول ربنا "نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم"
- مِن هؤلاء مَن تقول " كيف تدفن هذه الفتاة جمالها ولا تتمتع به و هِيَ لا تزال صغيرة ... !!". "قُل مَن حرّمَ زينَةَ اللهِ التي أخْرَجَ لعِبَادِهِ والطيِّبَاتِ مِنَ الرِّزق ؟!" [الأعراف - ٣٢] ... ولكن ليس فيما يُغضبُ الله ، و يؤذي من بَقِيَ عنده حياء.

إلى هؤلاء جميعاً نقول: إن لم تتوبوا إلى الله و تستجيبوا لما يُحييكم ، فلقد تعلمنا قول سيدنا نوحٍ لقومه حينما سَخِرُوا منه إذ قال: " إن تسخروا منّا فإنّا نَسْخَرُ مِنكُم كَمَا تسخرون " [هود - ٣٨]
وإلى المستمسكات بالحق نقول : كونوا خيرَ مثالٍ للإسلام ، فرب كاسيةٍ في الدنيا عاريةً يوم القيامة ، زادَكُنّ الله و زادَنَا جميعاً هدىً و تثبيتا.

The Emotional Bank Account:

The Emotional Bank Account is also a metaphor for the amount of trust that exists in a relationship. It suggests that every interaction with another human being may be classified as a deposit or withdrawal. Deposits build and repair trust in relationships. Withdrawal lessen trust in relationships. Deposits are made through keeping promises, honoring expectations, making apologizes and stuff like that. Withdrawals are made through the opposites.

Habit 1: Be Proactive الشعور بالمسئولية وأخذ زمام المبادرة

في أول بحث من هذه السلسلة ، تم تناول العادة الأولى من عادات النجاح ، و لكن بَقِيَ فيها أمران كما أشرتُ قبل ، يُطبق فيهما بَعضٌ من المبادئ الأساسية السابق ذكرها ، أرى أن نتناولهما الآن معاً قبل البَدء في العادة الثانية.

Focusing On the Circle of Influence:

Circle of Influence: (دائرة التأثير)
A person's Circle of Influence includes those things he or she can affect directly.

Circle of Concern: (دائرة الاهتمام)
A person's Circle of Concern comprises all matters about which he or she cares.

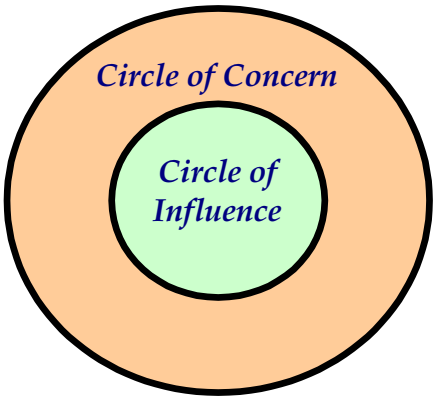

The circle of Influence is like a muscle that enlarges and gains elasticity with exercise, but wastes away with lack of use. When people focus on things they can influence (e.g., their *Emotional Bank Accounts* with others, their *P/PC Balance*), they expand their knowledge and experience, and they build trustworthiness. As a result, their Circle of Influence grows. However, when people focus on things they can't control, they have less time and energy to spend on things they can influence. Consequently, their Circle of Influence shrinks. *(Inside-Out Approach*).

Proactive Focus

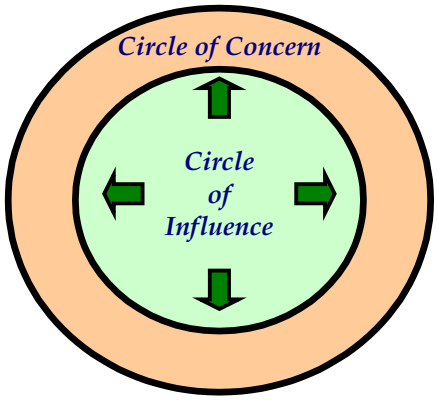

Reactive Focus

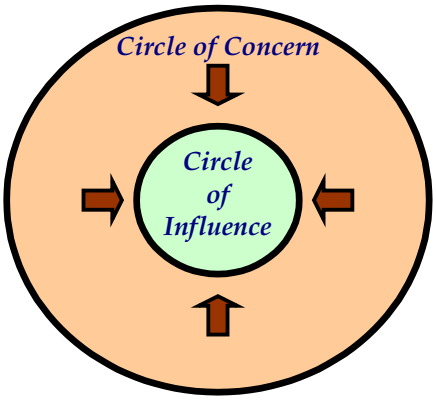

ما سبق يُعتبر مبدأ سُلوكي من مبادئ الناجحين في الحياة على مَرِّ التاريخ ، و يُمكن إسقاط هذا المبدأ على نواحٍ كثيرة في حياة أيٍّ مِنّا.

فإذا أردت أن تحترمَك زوجَتُك وتؤدي لك حقوقَكَ عليها (*دائرة اهتمام*) ، فلابد أن تعاملها أنت أولاً بالحسنى و الرحمة و المودة (*دائرة تأثير*) " ولَهُنّ مِثْلُ الَّذي عَلَيهِنَّ بِالمَعْرُوف" [البقرة – ٢٢٨] ، و إذا أردت أن يؤدي أولادُك ما لك عليهم من حقوق (*دائرة اهتمام*) ، فلابد أن تؤدي أنت أولاً ما لهم عليك من واجبات أيضاً (*دائرة تأثير*) ، و هكذا في تعاملاتك مع جميع الناس ، و إذا أردت أن تُحقق إنجازاً – إنتاجاً – متميزاً في هذه الحياة (*دائرة اهتمام*) ، فلابد أن تُوازن بين الإنتاج و قدرتك على الإنتاج (*دائرة تأثير*) ، كما سبق و شرحنا.

و الخلل في العلاقات الإنسانية و النكوص عن تحقيق إنجازات بارزة في هذه الحياة ، إنما ينتج حينما ينصرف الإنسان إلى التركيز على دائرة اهتمامه - بالمعنى الذي سبق - عن العمل في دائرة تأثيره.
و إنّه لمن السفه أن تجد إنساناً يترك هذه و تلك ثم ينظر في دوائر اهتمامات الآخرين. ألم يعلم هذا " أنّ من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه "[رواه الترمذي] ؟!

هذا ، و إذا نظرنا إلى أنفسنا ، نجد أغلب الناس يتصايحون بما لهم من حقوق لم ينالونها ، ثُمَّ هُمَّ ينصرفون إذا طُلِبَ منهم أن يؤدوا ما عليهم من واجبات ، كما لو كان على هذه الدنيا أن تأتيهم بغير عمل و لا جهاد ، ساء ما يحكمون. ما كانت هذه إلا أخلاق المنافقين الذين قال الله فيهم "و يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللّهِ و بِالرَّسُولِ و أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنهُم مِن بَعدِ ذَلِكَ و مَا أُولَئِكَ بِالمُؤمِنِينَ ، و إذَا دُعُوا إلى اللّهِ و رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَينَهُم إذَا فَرِيقٌ مِنهُم مُعرِضُونَ ، و إن يَكُن لَهُمُ الحَقُّ يَأتُوا إلَيهِ مُذْعِنِينَ ، أفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أمِ ارْتَابُوا أم يَخَافُونَ أن يَحِيفَ اللّهُ عَلَيهِم و رَسُولُهُ بَل أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون" [النور – ٤٧ حتى ٥٠].

كُلُّ هذا متروكٌ لنا لنتفكر فيه ، و لكن دعوني أستفيضُ القولَ في جانبٍ واحدٍ من الحياة ، ألا و هو جانب الدعوة.

عند إسقاط هذا الأمر على جانب الدعوة فقط ، نجد ما يلي:
إنّ أولَ دائرة تأثير أيٍّ مِنّا هِيَ نفسه ، التي هو مسئولٌ عن تزكيتها ، و إصلاحها ، و تجنيبها مزالقَ الهوى حتّى يَلقَى ربَّه بقلبٍ سليم. و الإنسان في سعيه المتواصل لتحقيق ذلك لا ينسى أنّ عليه واجب الدعوة إلى ربِّه بالحكمة و الموعظة الحسنة. (ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكمَةِ و المَوعِظَةِ الحَسَنَةِ و جَادِلهُم بالتِي هِيَ أحْسَن) [النحل – ١٢٥]. ولكن كيف يكون هذا المنهج الذي يسير عليه أيٌّ منّا ؟!
عندما بدأ رسول الله ، صلّى الله عليه و سلم ، في الدعوة كان الأمر من الحق: (و أنذِر عَشِيرَتَكَ الأقرَبِين) [الشعراء – ٢١٤]. فهكذا نبدأ.

لينظر كلٌ منّا إلى دائرة تأثيره : نفسه ، أهله ، أقاربه ، أصدقاءه ، و زملاءه في العمل ثمّ ليحاول على هذه الجبهات بقدر استطاعته ، و علمه ، و فقهه في دين الله ، أن يدعو إلى ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة في رفق و لين و صبر ، كصبر سيدنا نوح عليه الصلاة و السلام ، و أن يُعلِّم هؤلاء ذات المنهج الذي يسير عليه حتّى تتسع دائرة التأثير و تشمل من اختارهم الله في قوله – مخاطباً المؤمنين - :
(يأيُّها الذين آمَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ **فَسَوفَ يَأتِي اللّهُ بِقَومٍ** يُحِبُّهُم و يُحِبُّونَه أذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ و لا يَخَافُونَ لَومَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضلُ اللّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ و اللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم) [المائدة – ٥٤] . . . جعلنا الله جميعاً منهم . . .

كلٌ منّا يرى واقعنا المعاصر بما فيه من فُرْقَة ، و تَشَرْذُم ، و زيغ عن الحق ، ثمّ يقف بعضنا ليمصص الشفاه و يترك نفسَهُ لليأس و القنوط ، ثم يَسُبُّ الحكام ، و حاشيتهم ، و من تعلمون . . . !!
لهؤلاء جميعاً أقول : " يا أخي ماذا فعلت أنت لتَلُمَّ الشمل و تُصلح ذات البين و تَرُدَّ الناس إلى دين الله ، ماذا فعلت أنت في دائرة تأثيرك؟! أتَفَقَّهْتَ في الدين؟! أدعَوتَ أهلك و أقاربك؟! أتَفَوقْتَ في عملك؟! أم شغلت نفسك بحكم طول البنطلون من قصره ، ثم تركت الغرب يُبدع في علوم لا قِبَلَ لنا بها ؟! "

قد يردّ عليّ البعض بحديث رسول الله " (بدأ الإسلام غريباً و سيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء) [رواه مسلم] ، فدعني أكونُ غريباً ، أعبد الله و لا يَضُرُّنِي مَن ضَلَّ إذا اهتَدَيتُ أنا". . .

و الله ، و أقسم بالله أنّ الفهم الخاطئ لأحاديث رسول الله لا يزيد هذه الأمة إلا موتاً على موت ، و فرقة على فرقة ، و ضلالاً على ضلال.

من أراد أن ينسب نفسه للغرباء فليقرأ سيرة الغرباء الأُوَل ، ليرى كيف تكون حياة غرباء آخر الزمان.

لنكن غرباء كعمر بن الخطاب – وما كان إلا بَشَرَا - . لقد كان حماسه لهذا الدين و قوته في الدفاع عنه و نصرته سبباً في أن جعل الله من إسلامه ما يُعَزُّ به الإسلام ،و ما كان الإسلام ساعتها إلا غريباً.

لنكن غرباء كأبي بكر - وما كان إلا بَشَرَا -. لقد أسلم على يديه أكثرُ المُبَشَّرين بالجنّة ثم هو سخر نفسه و ماله لخدمة هذا الدين ، فجزاه الله خيراً عن هذه الأمة.

و أين نحن من الصحابة و الصحابيات . . كانوا غرباء . . و ما انتصر الدين إلا بالغرباء . . فطوبى للغرباء حقا.

ما أرى هذه الغربة إلا انتشار العداء للإسلام ، و المكر السيئ بدين الله ، و الكيد لأهله من حيث لا يعلمون ، و قلة أهل الحق ، و كثرة أهل الباطل. و إنه لسفهٌ أن ننسب أنفسنا للغرباء و هم مِنَّا براء.

ما أورده الدكتور يوسف القرضاوي – تلميذ الإمام الغزالي – في كتابه :" **الشيخ الغزالي كما عرفته ، رحلة نصف قرن**" في هذه المسألة أكثر من أن أنقله هنا و لكنني سأورد بعضه:

قال الدكتور يوسف القرضاوي مشيراً للإمام الغزالي :
"انظر إلى تعليقه على ((**أحاديث الفتن**)) و ما وقع فيها من سوء فهم ، حتّى غدت من أسباب تقاعس المسلمين عن نصرة دينهم ، و العمل لنهضة أمتهم ، و إصلاح أحوالها ، لما يوحي به سرد هذه الأحاديث من أن الإسلام أبداً في إدبار و أن الكفر في إقبال ، و أن الخير منهزم ، والشر منتصر ، و أن لا جدوى من محاولات الترميم و الإصلاح ، فنحن في آخر الزمان.

و شيوع هذا الفهم السقيم خطر على كيان الأمة و على وجودها ، و هو ضد سنن الكون ، وضد الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الأخرى.

و كيف يُقبل هذا في دين يأمر بالعمل للدنيا إلى آخر رمق فيها : "إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا تقوم حتّى يغرسها فليغرسها" [رواه البخاري].
فكيف يُوْئِس – من اليأس – الرسول الكريم أُمَّتَه من العمل لدينهم ، و هو يهيب بهم أن يعملوا لدنياهم إلى آخر لحظة ؟! . . . هذا مستحيل.

من أجل هذا يقاوم الغزالي تلك الأفهام الرديئة التي تحمل على القعود و اليأس ، و تُخدر الأمة عن الجهاد و الكفاح.
لنقرأ معاً تلك الفقرات النيرة من كتابه : (**قذائف الحق**). يقول حفظه الله:
" كلما قرأتُ أبواب الفتن في كتب السُّنَّة شعرت بانزعاج و تشاؤم ، و أحسست أنَّ الذين أشرفوا على جمع هذه الأحاديث ، قد أساءوا – من حيث لا يدرون ، و من حيث لا يقصدون – إلى حاضر الإسلام و مستقبله.

لقد صَوَّرَوا الدين و كأنه يُقاتل في معركة انسحاب ، يخسر فيها على امتداد الزمن أكثر مما يربح. و دونوا الأحاديث مقطوعة عن ملابساتها القريبة ، فظهرت و كأنها تُغري المسلمين بالاستسلام للشر ، و القعود عن الجهاد ، و اليأس من ترجيح كفة الخير ، لأن الظلام المقبل قدر لا مهرب منه.

لقد ذكر لي بعضهم حديث "بدأ الإسلام غريباً و سيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء"، و كأنه يفهم منه أن الإسلام سينكمش و يضعف ، و أن على من يسمع هذا الحديث أن يهادن الإثم ، و يداهن الجائرين ، و يستكين للأفول الذي لا محيصَ عنه.

و إيراد الحديث و فهمه على هذا النحو مرض شائع قديم.

و لو سرت جرثومة هذا المرض إلى صلاح الدين الأيوبي ما فَكَّر في استنقاذ بيت المقدس من الصليبيين **القدامى**.

و لو سرت جرثومة هذا المرض إلى سيف الدين قطز ما نهض إلى دحر التتار في (عين جالوت).

و لو سرت جرثومة هذا المرض إلى زعماء الفكر الإسلامي في عصرنا الحاضر ، ابتداءاً من جمال الدين الأفغاني إلى الشهداء و الأحياء من حملة اللواء السامق ، ما فكَّروا أن يخطوا حرفاً ، أو يكتبوا سطرا.

الواقع أن هذا الحديث و أشباهه يشير إلى الأزمات التي سوف يواجهها الحق في مسيرته الطويلة ، فإنَّ الباطل لن تلين بسهولة قَنَاتُه ، بل ربما وصل في جرأته على الإيمان أن يقتحم حدوده و يهدر حقيقته ، ويحاول الإجهاز عليه.

و عندما تنجلي الظلماء عن رجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يقاومون الضلال بجلد ، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذي يعيشون فيه ، و لا يتخاذلون للغربة الروحية و الفكرية التي يعانونها ، ولا يزالون يؤدون ما عليهم لله حتّى تنقشع الغمة ، و يخرج الإسلام من محنته مكتمل الصفحة ، بل لعله يستأنف زحفه الطهور فيضم إلى أرضه أرضاً و إلى رجاله رجالا.

و ذلك ما وقع خلال أعصار مضت ، و ذلك ما سيقع خلال أعصار تجيء ، و هذا ما ينطق به حديث الغربة الآنف ، فقد جاء في بعض رواياته:
((طوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسدَ الناسُ مِن سُنَّتي)) [راجع كل روايات الحديث في كتاب غربة الإسلام لابن رجب الحنبلي].

فليست الغربة موقفاً سلبياً عاجزا ، إنها جهادٌ قائم دائم حتّى تتغير الظروف الرديئة ، و يلقى الدين حظوظاً أفضل.

و ليس الغرباء هم التافهين من مسلمي زماننا ، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة ، و توكلوا على الله في مدافعتها حتى تلاشت.

لقد سلخ الإسلام من تاريخه المديد أربعة عشر قرناً ، وسيبقى الإسلام على ظهر الأرض ما صلحت الأرض للحياة و البقاء ، وما قضت حكمة الله أن يُختبر سكانها بالخير و الشر.
و يوم ينتهي الإسلام من هذه الدنيا فلن تكون هذه دنيا ، لأن الشمس ستنطفئ ، والنجوم ستنكدر ، و الحصاد الأخير سيطوي العالم أجمع.

فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة و ليعلموا أن الله أبَرَّ بدينهِ و عبادِهِ مِمَّا يظنون". . .

هذا ما أورده الدكتور يوسف القرضاوي.

و في موضع آخر تحت عنوان "**الغزالي . . . مُصلحاً و مجددا**" ، و الذي قال فيه إنّ الغزالي أحد أعمدة التجديد الإسلامي الرئيسية في هذا العصر ، ذكر الحديث: "إن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة عام من يُجدد لها دينها" [رواه أبو داود]. و تكلم عن ما فيه من البشرى ببقاء الدين ، و تجديد الفهم له ، و الإيمان به ، و الالتزام بتعاليمه ، و الدعوة إليه. و ذكر أن "مَن" هنا قد تعود على الجمع أو على الفرد، فقد يكون المجدد فرداً أو جماعةً أو مدرسة أو حركة فكرية أو دعَوية أو تربوية أو جهادية تقوم بدورها في عملية الإيقاظ و الإحياء و التجديد ، و هذا ما رجَّحَهُ و مَالَ إليه. ثمّ عَقَّبَ بقوله:

" و هنا لا يكون دور المسلم أن يقول : متى يظهر المجدد؟! بل يكون قوله : ما دوري في حركة التجديد؟ "

ألا فليسأل كُلٌ مِنّا نفسه هذا السؤال . . .

هذا عن جانب الدعوة و لكن نستطيع أن نُطبق هذا الأمر علــى جوانـب أخرى كثيرة. لعل جِمَاعُـهَا هـذا الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "المؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف و في كلٍ خير ، **احرص على ما ينفعك** ، و استعن بالله و لا تعجز ، و إن أصابك شـئ فلا تقل لـو أنـي فعلت كذا لكان كذا ، و لكن قل : قدّر الله وما شاء فعل فإنّ "لو" تفتح عمل الشيطان" [رواه مسلم].

هكذا البشر في حياتهم عامةً ، قد تكون طموحاتهم عالية ، و آمالهم كبيرة (***دائرة الاهتمام***) و لكـن ما في أيديهم من قدرة ، و ما في أنفسهم من طاقة (***دائرة التأثير***) ، قـد لا يؤهلـهم لنيـل مـا يرجونـه مـن نتائج ، و تحقيق ما يصبونه من إنجازات على المستوى الشـخصي ، أو الأسـري ، أو الاجتماعي. و لـهذا فالحديث يحثّ المؤمنين أن يعملوا على تقوية (*دائـرة تأثيرهم*) – قـوة فـي العقل و العلـم ، و قـوة فـي الجسد ، و قوة في الإيمـان ، وقـوة فـي العمـل بـهذا الديـن - و أن يسـتعينوا بـالله و يتوكلـوا عليـه إن لـم تتحقق (*دائرة اهتماماتهم*). . .

ولمن أراد الفلاح – النجاح - الكامل في الدنيا و الآخرة فليقف عند قوله تعالى:
"يأيُّها الَّذينَ آمنوا اصبِروا و صَابِروا و رَابطُوا و اتَّقُوا الله **لعلكم تفلحون**" [آل عمران – ٢٠٠]. و عند قوله أيضاً:
"يأيُّها الَّذينَ آمنوا اركَعُوا و اسجُدُوا و اعبُدُوا رَبَّكُم و افعَلُوا الخَيرَ **لعلكم تفلحون** ، و جـاهدوا فـي الله حـق جهاده". [الحج – ٧٧ و ٧٨].

و أترك المجال لمن يقرأ ليتفكر في كل هذا ثانيةً ، فلا يزال هناك الكثير و الكثير ليُقال . . .

و لكن بَقِيَ مفهومٌ هام لا يَتِمّ الحديث إلا بدونه ، ألا و هو **القدوة**.

Becoming a Transition Figure:

Each of us transmits certain behaviors, feelings, and lifestyles to others. Through transmission, we can act as ***Transition Figures***, consciously breaking **reactive** patterns and replacing them with **proactive** ones. Only then, we become **highly effective people**.

الكلام عن القدوة يحتاج إلى مقالاتٍ عدة ، و لكن الناجحون علــى مـر التـاريخ لـم يكونـوا إلا قـدوة حسـنة لمن عاصروهم ، و لمن جاء بعدهم . و ليعلم كلٌ مِنَّا أن أعماله ، للأسف الشديد ، تُحسَبُ على الإسلام في نظر من لا يعرفون الإسلام. فهل نَحنُ أمثلة تدل على ما في هذا الديـن مـن خـير؟! أم أنّنـا لـن نـزال نسمع من يقول "أحمد الله أني دخلت في الإسلام قبل أن أرى المسلمين" . . .

يكفينا قول الحق سبحانه و تعالى :"لَقَدَ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ الله أسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرجُوا الله و اليَـومَ الآخِرَ و ذَكَرَ اللّهَ كَثِيرا" [الأحزاب – ٢١].

فلينظر أحدنا مكانه من أخلاق رسول الله ، صلى الله عليه و سلم ، ولنقرأ سيرته و لنتدارسـها و لنطبقـها على أنفسنا ، فنحن مأمورون بذلك ، و لا يتخلفنّ أحد ، فما لا يَتِمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب.

و لنعتبر من قصص القرآن " لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لأولِي الألبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْـتَرَى و لَكِـن تَصْدِيـقَ الذي بَين يَدَيه و تَفصِيلَ كُلِّ شَـيء و هُدَىً و رَحْمِةً **لقوم يؤمنون**" [يوسف – ١١١].

و لنتأسى بأخلاق الرسل "أولئك الّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُم اقْتَدِه قُل لا أسألُكُم عَلَيه أجْرا إن هُـوَ إلا **ذكـرٌ للعالمين**"[الأنعام – ٩٠].

و لنقرأ عن الصحابة فبينهم نزل القرآن ، و به عملوا ، و له احتكموا ، و به حكموا ، و إليه دَعَوا ، و من أجل ما فيه جاهدوا في سبيل الله. "و السَّابِقُونَ الأولَونَ مِـنَ المُـهَاجِرينَ و الأنصَار و الذيـن اتّبَعُوهُـم بِإحْسَـانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُم و رَضُوا عنه و أعَدَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَـها الأنْـهَارُ خَالِدِينَ فِيـهَا أبَـداً ذَلِـكَ الفَـوزُ العَظِيـم" [الأحزاب – ٢١].

هذا ما أردتُ قَولَه ، و صدقاً قال الله فينا "مِنكُم مَن يُريدُ الدُنيَا و مِنكُم مَن يُريدُ الآخِرَة". [الأحزاب – ٢١].

Habit 2: Begin with the End in Mind ضع الغاية أمامك قبل الإقدام على عملك

تعلمنا في العادة الأولى من عادات النجاح أنّ الإنسان الناجح يعلم أنّه مسئولٌ عن اختياراته في هذه الحياة ، و أنّ عليه أن يباشر هذه المسئولية في كل ما يأتي و يدع من أعمال ، و أنّ عليه أن يعمل داخل دائرة تأثيره ، حتّى تتسع و تشمل أكبر قدر من دائرة اهتماماته ، بالمعنى الذي سبق و شرحناه.

أمّا في العادة الثانية فإننا سنرى كيف يبدأ الناجحون بمباشرة هذه المسئولية . . .
لنستوضح الأمر أولاً ، ثمّ لنُعَقِّبَ بعدَ ذلك بمَا في ديننا من الحكمة.

العادة الأولى : **أنت مسئول.**	العادة الثانية : **باشر هذه المسئولية**

أول خطوات تحمّل هذه المسئولية أن يسأل كل مِنّا نفسه :
- ماذا أريد أن أحققه في حياتي؟
- ما الذي أريد أن أتركه خلفي في هذه الحياة بعد موتي؟
- ماذا سأتّبع في هذه الحياة من خِطط لكي أحقق ما أريد؟
- ما هِيَ وجهتي في هذه الحياة؟

قصة طريفة ذكرها الدكتور طارق السويدان:
(أليس في بلاد العجائب)
عندما تاهت و وصلت إلى مفترق طرق و رأت قطاً . . .
قالت له : من فضلك أيّ طريق آخذ ..؟!
قال لها : أليس !! . . . هذا يعتمد على إلى أيّ مكانٍ تريدين الذهاب إليه.
فقالت : أنا لا أدري أين أذهب.
فقال : لا تدرين أين تذهبين !! . . . إذن لا يَهُمُّ أيُّ طريق تأخذين . . . !!

يجب أن نعلم أنّ الذي يُحدد تصرفاتنا في هذه الحياة هِيَ أهدافُنا ، و أنّ الناجحين في هذه الحياة هم الذين يتبعون في حياتهم من الأعمال ما يُحقق لهم هذه الأهداف.

إذن يجب وضع خطة عمل في هذه الحياة يسير كلُّ شئ على أساسها ، و يُردُّ كل شئ إليها ، و تكون هِيَ ذاتها موافقة للمبادئ التي تم طرحها من قبل.
هذه الخطة ، يُقرر كلُّ مِنّا فيها بوضوح مع نفسه الآتي:
ما هو المجال الذي أريد أن أعمل فيه؟ ما هِيَ الأهداف التي سأسعى لتحقيقها في هذا المجال؟ ما هِيَ الخطوات أو خطة العمل التي سأتّبعها لتحقيق هذه الأهداف؟
و إذا سأل سائل فقال : "متى يكون الإنسان منتجاً ، و فعّالاً ، و مبدعاً في إنتاجه؟!" ، تكون الإجابة : عندما تتوافق ميوله و رغباته مع مسار حياته . . .

يصح هنا أن نُذَكِّر بَأنّ الإنسان له أدوار مختلفة في هذه الحياة ، عليه ألا يُقصِّر فيها ، و هذا يستلزم منطقياً أن يكون له أهداف مُختلفة في كلٍ من هذه الأدوار. و أنّ العمل على تحقيق هذه الأهداف لابد ألا يمنع الإنسان من أداء ما عليه من واجبات. و الخلل و التأخر و الجهل الذي ترسف فيه مجتمعاتنا ، إنّما نتج من أنّ أكثر الناس يعيشون حياتهم في أداء واجبات و ليس في تحقيق أهداف ، و لَيْتَهُم أدّوا هذه الواجبات بأمانة ، و لكنّهم خانوها ، و استبدلوا مكانها اتباع الهوى ، و من أضلُّ ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله . .!!
في هذه الخطة التي يضعها كلٌ مِنّا لنفسه يجب أن يُرَاعِى فيها التوازن بين الأهداف و الواجبات ، و هذا موضوع العادة الرابعة بإذن الله ، و لكن ننبه هنا على شيئين:
- الإنسان الذي يُفكر في نفسه فقط . . . فاشل.
- و الإنسان الذي يُفكر في الآخرين فقط . . . أيضاً فاشل.

و الفشل و النجاح هنا ، إنما يُفهَم بالتعريف المطروح في أول بحث من هذه السلسلة.
(في نهاية هذا البحث ، سرد للأسلوب الأجنبي في كتابة هذه الخطة ، و أرجو من يقرأ أن يقف عنده ليجاوب على الأسئلة بأيّ لُغةٍ شاء ، وإن كنت أفضل العربية حتّى تساعده في كتابة هذه الخطة).

الحق أنَّ كتابة هذه الخطة يحتاج إلى قدر من الهدوء ، و قدر من صفاء النفس ، و قدر من الحكمة في رؤية الأمور ، و البصيرة بعاقبة كل منها. فالنصيحة من الدكتور طارق السويدان هو أن ينتقي الإنسان مكاناً هادئاً ليس فيه أحد ، ثمَّ يجلس ليفكر في ماذا يريده من هذه الحياة و كيفية تحقيق هذا الذي يريده.

و على العموم كتابة هذه الخطة على قدر ما فيها من التخطيط للمستقبل ، فإن بها قدراً كبيراً من اكتشاف الذات ، و إطلاق العنان للإرادة الحرة و الضمير الحيّ **معاً** هِيَ أولى خطوات التحرر من تقاليد و عادات تهوي بنا دون الإبداع ، و دون تحقيق إنجازات محترمة في حياتنا الدنيا.

و أنا شخصياً أعتقد أنَّ هذه الخطة لا يُشترط فيها أن تكون مطلقة ، لا يرجع فيها الإنسان عمّا اختطه لنفسه في هذه الحياة من أهداف و وسائل لتحقيق هذه الأهداف ، و إنما هذه الخطة قد تخضع لتحسينات و إضافات يضعها الفرد كلّما ازدادَ علما ، و كلّما ازداد بصيرةً و حكمةً بعاقبة كل أمر.

هذه الخطة بالتعريف الأجنبي ، نجده في قول الدكتور ستيفان كوفي:

> ***Mission Statement***
> *A powerful document that expresses your personal sense of purpose and meaning in life; it acts as a governing constitution by which you evaluate decisions and choose behaviors.*

The process of writing a ***Mission Statement*** allows us to reevaluate our old scripts (created by the social mirror) and create new scripts based on **principles**. Creating a Personal Mission Statement involves as much **discovery** as it does **creation**. We envision and explore our future using our: *self-awareness, imagination, conscience* and *independent will*.

هنا لنا وقفة في **العقيدة** و إخلاص العبادة ، مع حديث رسول الله ، صلّى الله عليه و سلّم ، (إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، و من كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) [رواه البخاري]

هنا يُقرر الرسول ، صلّى الله عليه و سلّم ، قول الحق سبحانه و تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجّلْنَا لهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُورَا ، و مَن أرادَ الآخِرةَ و سَعَى لَهَا سَعْيَهَا و هُو مُؤمِنٌ فَأولَئِكَ كَانَ سَعْيُهم مَشْكُورَاَ ، كُلاً نُمِدُّ هَؤلاءِ و هَؤلاءِ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ و مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورَا) [الإسراء –١٨ و ١٩ و ٢٠]

ليس كل من يكتب خطة لحياته يُأمل له بالنجاح ، فهناك من الخِطط ما أهبط حضارات كانت زاهرة ، و أسقط دولاً كانت مضرب المثل على مر التاريخ ، و أفسد شرائع أنزلها الله لهداية البشر ، و هذا لأنهم اتبعوا أهوائهم بغير هدىً من الله.

نحن المسلمون نعلم أنَّ هذه الدنيا مَطِيَّةٌ للآخرة و أنّها دار ابتلاء ، و ليست دار بقاء ، و أننا بُعثنا إليها بحكمة الله حيث أمرنا ألا نعبد إلا إياه ، و لا نُشرك به ، ثم هو سبحانه قد استعمرنا في الأرض ، و سخر لنا ما في السماوات و ما في الأرض ، و أنزل إلينا الكتاب فيه خَبَرُ مَن قبلنا ، و حُكْمُ ما بيننا ، و نبأ من بعدنا. و عَلِمنَا مِنهُ أنّه ، سبحانه و تعالى ، بعث إلى البشر رسلاً تبصرهم بالغاية من خلقهم ، و تهديهم إلى توحيد العبودية لله الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، الذي لم يلد ، و لم يولد ، و لم يكن له كفواً أحد ، و ترشدهم لما فيه فلاحهم في الدنيا و الآخرة ، و تُبَشِّرُ مَن آمن منهم برحمة الله ، و تُنذِرُ مَن كفر منهم بغضب الله (قُل آمَنّا باللّهِ و مَا أُنزِلَ عَلينَا و مَا أُنْزلَ عَلى إبراهِيمَ و إسْمَاعِيلَ و إسْحَقَ و يَعْقُوبَ و الأسْبَاطِ و مَا أوتِيَ مُوسَى و عِيسَى و النَّبِيُّونَ مِن رَبِهِم لا نُفَرِّقُ بين أحَدٍ مِنهُم و نَحنُ لَهُ مُسْلِمُون) [آل عمران – ٨٤]

و نتيجة هذا الإيمان أنّنا نعلم أنّنا مُحاسبون على ما قَدّمنا في هذه الدنيا ، و أنّ يوم القيامة ينظر المرء ما قدمت يداه ، إن خيراً فخير ، و إن شراً فشر. لا يوجد في ديننا مَن يحمل عنّا خطايانا يوم القيامة ، و لا يشفع يوم القيامة أحدٌ ، إلا مَن أذنَ له الرحمن و رضي له قولا ، و أوّلُهم سيدنا رسول الله ، صلّى الله عليه و سلم ، و مَن شاء اللهُ مِن بعد ذلك. و مع وجود هذه الشفاعة ، إلا أنّ رسول الله ينادي أهله من على جبل الصفا في بداية الدعوة (يا معشر قريش . . أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب . . أنقذوا أنفسكم من النار ، **يا فاطمة بنت محمد . . أنقذي نفسك من النار** ، فإني و الله لا أملك لكم من الله شيئاً) [رواه البخاري و مسلم]
لم يقل لهم الرسول ، آمنوا بما جئت به لأحمل عنكم خطاياكم يوم القيامة ، أو لأكونَ مُخَلِّصَكُم من غضب الله . . . !! كلا .. ليس في ديننا شئٌ من ذلك.
(قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً و لا ضَرّاً إلا مَا شَاءَ اللهُ ، و لَو كُنْتُ أعْلَمُ الغَيبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيرِ ومَا مَسَّنِي السُوءُ ، إن أنَا إلا نَذِيرٌ و بَشِيرٌ لِقَومٍ يُؤمِنُون) [الأعراف - ١٨٨]

من أجل ذلك ، فنحن مأمورون ألا نُشرك بالله شيئاً و لو في نوايانا في ما نُقبل عليه من أعمال. و أيُّ عملٍ لا يَبتغِي الإنسان مِن وراءه مرضاة الحق سبحانه و تعالى فهو مُحبَط الأجر. و لنا في أول ثلاثة تُسعّر بهم النار يوم القيامة عبرة – *عالم تعلم ليُقال عالم ، و مجاهد جاهد ليُقال شجاع ، و غنيٌّ كريم أنفق من ماله ليُقال جواد كريم ، و قد قيل لهؤلاء ما أرادوا في الدنيا ، و ما لهم في الآخرة من نصيب* - .

و ليس معنى هذا ألا نعمل و نكد و نكدح في هذه الدنيا ، و لكن المقصود هو إفراد الحق سبحانه و تعالى بالنية و الغاية من كل هذا الكد و التعب.
و كيف لا نبتغي وجهه و هو الذي أمرنا بقوله : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرَضَ ذَلُولا **فَامْشُوا** فِي مَنَاكِبِهَا و كُلُوا مِن رزقِهِ و إليهِ النُّشُور) [الملك - ١٥]

و لهذا فالإمام الغزالي يقول ، رحمه الله ، في كتابه (**المحاور الخمسة للقرآن الكريم**) :
" الاهتمام بالدنيا حقٌ على أن تكون وسيلة إلى ما وراءها ، أما الانكباب عليها و الغفلة عما سواها فضلالٌ بعيد"
"في العصور الوسطى كان عرض الدين في أوروبا على أنه ضد للعلم و خصومة للحياة السوية و خليط من أوشاب الأرض في غلاف مزعوم من السماء . . . فكان أن كفر العلم و كفرت الحضارة الحديثة . . .
و من سوء حظ العالم أنه لم يجد من يأخذ بيده ، و يهديه إلى رشده ، فظلت المدنية الذكية تستخدم ذكائها فيما يُرديها . . .

السببان ما زالا يَستبقيان الإلحاد و الانحلال . . . و لما كنتُ واحداً من الدعاة المسلمين فإنّي أعترف بأن الإسلام لم يجد من يحمل حقائقه ، و أن دعاة كثيرين يقولون كلاماً يستغربه أولوا الألباب حتى شاع أن الإسلام دين حفنة من الحكام المترفين تعيش وسط أمم تبحث عن الأكل ، لا تعرف الحرية و الكرامة و لا العقل و الإبداع.

الدين كلفنا أن نملك الدنيا و نُسخرها في خدمة مُثُله و أهدافه ، فقلنا : لا علاقة لنا بالدنيا.
الدين أمرنا بإصلاح أجسادنا كي نُطوعها لخدمة عزائمنا و آمالنا فقلنا : الدين يستحب الهزال و الخفوت و الجوع و السهر . .
الدين يأمرنا بحدة النظر ، و عمق الفكر ، و نحن نترك الفكر يذوي ، مُكتفين بتلاوات و أذكار لا تَفَقُّه فيها و لا تدبر لمعانيها . .

إن أعمال الإسلام كلها تصبح قليلة الجدوى مع سقم العقل و عوج الفطرة . . .

و الغريب أن الذين يهولهم الواقع الأليم ، و يقررون التوبة ، يسلكون الطريق ذاته الذي قاد من قبلنا إلى الهزيمة . . . طريق تدمير الدنيا ، و الجهل بها ، و البعد عنها.

ما كان هكذا سلفنا الكبار. لقد عرفوا أن الدين هو الدنيا موضوعةً بين قوسين من الإيمان و التزام هداه ، مع ضميمة من العبادات التي تزكي الروح و الجسد معاً ، و تُصلح الدنيا و الآخرة جميعاً . . .

إن الدين لم يقل لنا : اتركوا الأرض و عيشوا في كوكب آخر ! بل قال الله لنا : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا . .) [البقرة - ٢٩]

الدين لم يقل لنا : ازهدوا في خيرات الأرض و ترفعوا عن ارتفاقها لتكونوا أدنى إلى الملائكة . . !
بل قال لنا (يَأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم و اشكُرُوا للّهِ إن كُنتُم إيَّاهُ تَعْبُدُون) [البقرة - ١٧٢]

و يعلم الله أن بعض الناس سوف يتقعَّر ، و يتكلَّف ما لا يُحسن ، و يريد ليُشرع للناس ما يَظُنُّهُ أليقَ بهم فيقول الله لهؤلاء (قُل أرأيتُم مَا أنْزَلَ اللّهُ لَكُم مِن رزقٍ فَجَعَلْتُم مِنهُ حَرَاماً و حَلالاً قُل آللّه أذِنَ لَكُم أم عَلَى اللّهِ تَفْتَرُون ؟!) [يونس - ٥٩]

و يعلم الله أن الأرض سوف تسكنها قلة مؤمنة ، و كثرة كافرة ، و أن الاستمكان من خيرات الأرض الباطنة و الظاهرة قوة لأصحابه ، و دعم لمبادئهم ، فكيف تكون الحال إذا قدر الكافرون و عجز المؤمنون ؟
أنّى للحق ما يمده بالفوز ؟ و يرجح كفته في الكفاح ؟ لذلك قال الله في وصف معدن الحديد : (و أنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأسٌ شَدِيدٌ و مَنَافِعُ للنَّاسِ و لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَنْصُرُهُ و رُسُلَهُ بِالغَيب) [الحديد - ٢٥]

كان المفروض – إذا ارتفعت صيحة "مَن أنصاري إلى الله" – أن يهب رجال الحق يصنعون من سلاح فيدافعوا العدوان ، و يكسروا الطغيان !

أمّا أن ترى المؤمنين بين أعزل عاجز ، و أحمق قاعد على حين انطلقت للكفر مدرعاته و نفاثاته ، فهذه هِيَ المعرة الكبرى و النكبة الجائحة للإيمان و أهله.
لذلك قلنا : إن الدين هو الدنيا نفسها محكومة ببواعث الإيمان و أهدافه . .

لكن المسلمين شاعت بينهم روحانية كاذبة ، يُنكرها كل متدبر للقرآن متأدب بأخلاقه !

فمشت الجماهير الهائمة ، فوق منابع النفط ، و مناجم الحديد ، و الذهب ، لا تدري عنها شيئا ، حتى جاء الخواجات ففجروا المنابع و المناجم ، و استخرجوا أنعم الله من مكانها و استغلوا كل شئ في تقوية مللهم و نحلهم ، و أنفسهم و أولادهم.

و عزّى بعضُ المسلمين أنفسهم فقالوا : نحن غرباء في الدنيا أُصَلاء في الدين.

و كذبوا ، فقد كانت أعمالهم و أحوالهم في غربة حقيقية عن كتاب الله و سنة رسوله و سيرة السلف العظام !!

كانوا غرباء على الدين و الدنيا جميعا . . ."

صدقا قال الإمام الغزالي ، رحمه الله ، و ما استشهدت بكلامه إلا لأُبيّن أن النية يجب أن تكون لله في كل عمل و أنَّ هذا لا يُخالف امتلاك الدنيا و تسخيرها لما نريد ، و أردتُ أن أبين أيضاً أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، موافقاً لشرعه ، و لو كان الأمر كذلك حقا فيمن سبقونا ، ما كان هذا حالنا الآن.

نعم ، لو أننا استوحينا دستور حياتنا من كتابنا لاسترحنا ، و أرحنا ، و لأبدلنا الله عزة بعد ذل ، و تمكينا بعد استضعاف. فما نعرف هذا الدين إلا مخاطباً عقلاً ذكياً ، و قلباً تقياً. عقلاً يجوب الأرض و السماء ليتعلم و يعتبر و يبدع ، و قلباً موصولاً بالله برباط من الخوف و الحب و يرى الله في ما أبدعه سبحانه من خلق في الأرض و السماء. و لكن مَكَرَ الماكرون ، و كَادَ بنا الكائدون ، و الله بما يعملون محيط.
(و قَد مَكَرُوا مَكْرَهُم و عِندَ اللّهِ مَكْرُهُم و إن كَانَ مَكْرُهُم لِتَزُولَ مِنهُ الجِبَالُ ، فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَام) [إبراهيم – ٤٦ و ٤٧]

يصح هنا أن نَذْكُرَ خصائص التوحيد لعباد الرحمن ، فهِيَ المحك و المرجع في هذا الأمر لمن كان في قلبه مرض. فقد ذكرها الشيخ : **رجب** ، أكرمه الله ، بمسجده بالزمالك ، في سلسلة خطبه عن صفات عباد الرحمن المذكورين في آخر سورة الفرقان على وجه الإجمال ، و في مواضع أخرى من القرآن:

ذكر الشيخ أن أركان التوحيد بمعناه الشامل و الكامل الذي يُطبقه عبادُ الرحمن موجـودة فـي أربعـة آيـات مُحكمات من سـورة الأنعام ، فلنحاول حفظها عسـى أن تكون ميثاق شرف المؤمنين:

لا رب إلا الله : (قُلِ أغَيرَ اللهِ أبغِي رَبّاً و هُوَ رَبُّ كُلُّ شَئ ، و لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفسٍ إلا عَلَيـهَا و لا تـَزرُ وَازِرةٌ وِزرَ أخْرَى ثُمَّ إلى رَبِّكُم مَرجِعُكُم فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُون) [الأنعام – ١٦٤]

لا وليَّ إلا الله : (قُلِ أغَيرَ اللهِ أتَّخِذُ وَلِيَّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ و الأرضِ و هُوَ يُطعِمُ و لا يُطعَمُ ، قُـل إنِّـي أُمِـرْتُ أن أكُونَ أوّلَ مَن أسلَمَ و لا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِين) [الأنعام – ١٤]

لا حَكَمَ إلا الله : (أفَغَيرَ اللهِ أبْتَغِي حَكَمَاً و هُوَ الَّذِي أنْزَلَ إليكُـمُ الكِتَـابَ مُفَصَّلاً و الَّذِيـن آتَينَـاهُمُ الكِتَـابَ يَعْلَمُونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرين) [الأنعام – ١١٤]

لا غاية إلا الله : (قُل إنَّ صَلاتِـي و نُسُـكِي و مَحْيَـاىَ و مَمَـاتِي للهِ رَبِّ العَـالَمِينَ ، لا شَـرِيكَ لَـهُ و بِذَلـكَ أُمِرْتُ و أنَا أوَّلُ المُسْلِمِين) [الأنعام – ١٦٢ و ١٦٣]

بعد كل هذا ، إذا جاءنا جاهل يريد أن يستبدل ما نؤمن به ، و ما نحيا و ما نموت في سبيله ، من أجل أن نتبع ما سولت له نفسه من الضلال ، ظنـاً منـه أنَّ هـذه هِـيَ المدنيـة الحديثـة ، و أنَّ هـذا هـو التقـدم و الرقي الحضاري ، إذا جاءنا أمثال هؤلاء ، و ما أكثرهم ، فإنّي أقول لهم :
(قُل أنَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا ، و لا يَضُرُّنَا ، و نُرَدُّ عَلَى أعقَابِنَا بَعْـدَ إذ هَدَانَا اللهُ ، كَـالَّذِي اسـْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأرضِ حيرانَ لَهُ أصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إلَى الـهُدَى ائتِنَـا ، قُـل إنَّ هُـدَى اللهِ هُـوَ الـهُدَى ، و أُمِرْنَـا لِنُسْلِمَ لِربِّ العَالَمِين) [الأنعام – ٧١]

كل ما سبق هو ما يجب أن يستحضره أيُّ مؤمن عند كتابة خطة حياته ، فهذه كلها مواثيق أخذناها على أنفسنا عندما أسلمنا أنفسنا لله ، و رضينا به ربا ، و عندما آمَنَّا بهذا الدين الحق . . .

أمَّا مَن أعرض عن ذلك : (قُل هَل أُنَبِّئُكُم بِالأخْسَرِينَ أعْمَالاً ؟ ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُنيَا و هُم يَحسَبُونَ أنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً ، أولئِكَ الَّذِين كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهُم و لِقَائِهِ فَحَبِطَت أعمَالُهُم فَلا نُقِيمُ لَـهُم يَـومَ القِيَامَةِ وَزنًا) [الكهف – ١٠٣ حتى ١٠٥]
حقاً لقد عاشوا في كَهفٍ طول حياتهم ، يتخبطون في ظلمات جدرانه ، فَأنَّى لهم النُّور و أنّى يهتدون ..!!

. . عندما بدأت الكتابة عن العادة الثانية ، سألت نفسي ، تُرى ما هِيَ خطة عمل سـيدنا محمـد ، صلـى الله عليه و سلم ؟! . . . لعل ما وجدته في سورة الأحزاب شئٌ منها ، اقرءوا:

(يأيُّهَا النَّبيُّ إنَّا أرسَلنَاكَ شَاهِداً . . و مُبَشِّراً . . و نَذِيراً . . و دَاعِيـاً إلـى اللهِ بإذنِـهِ . . و سِـرَاجَاً مُنِـيراً . . و بَشِّرِ المُؤمِنِينَ بأنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضْـلاً كَبِـيراً . . و لا تُطِـعِ الكَـافِرِينَ و المُنَـافِقِينَ . . و دَعْ أذَاهُـم . . و تَوَكَّـل عَلَى اللهِ . . . و كَفَى باللّهِ وَكِيلا) [الأحزاب – ٤٥ حتى ٤٨]

ختاماً:
(قُل إنَّمَا أنَا بَشَرٌ مِثلُكُم يُوحَى إلَيّ أنَّمَا إلَهُكُم إلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَليَعْمَل عَمَلاً صَالِحَـاً و لا يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَداً) [الكهف – ١١٠]

Now starts the procedure as I've learned from the7 Habits course, by which anyone could write his mission statement. It could have been translated and elaborated more in Arabic, but unfortunately I explained mystyle at the beginning and you may answer in Arabic.

HAVE : RESULTS YOU WANT TO HAVE

In the space below, identify a list of things (tangible or intangible)that you want to have that you feel are important. *Mark the most important five items.*

……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..
……..

DO : CONTRIBUTIONS AND ACCOMPLISHMENTS

"Do" addresses the contribution and accomplishments thattie to your purpose and values. It answers the question, " What am I about? " Think about and respond to the questions below.

1. When I daydream, what do I see myself doing?

……..
……..

2. If I had unlimited time and resources, what would I choose to do?

……..
……..

3. When I look at my work life, which activities do I consider of greatest worth?

……..
……..

4. When I look at my personal life, which activities do I consider of greatest worth?

……..
……..

5. What do I consider to be my most important future contribution to others?

……..
……..

6. What talents do I have, whether developed or undeveloped?

……..
……..

7. Are there things I feel I really should do even though I might have dismissed such thoughts many times before for various reasons? What are they?

……..
……..

BE : LOOK TO AN INFLUENTIAL PERSON

People influence others through their behavior, feelings and lifestyle. Undoubtedly, a numberof people have served as patterns or sources of inspiration for you. The following exercise will help you discover the character traits you value most.

1. Who has served as a positive role model for me and has had a significant impact in my life? Why did that person have such a significant impact?

……..
……..
……..
……..

2. What qualities does this person possess that I would like to emulate?

……..
……..
……..
……..

3. What other qualities of character do I most admire in others?

……..
……..
……..
……..

Now after you've answered these questions, look at the graph below and take your steps towards the **Inside-Out approach.**

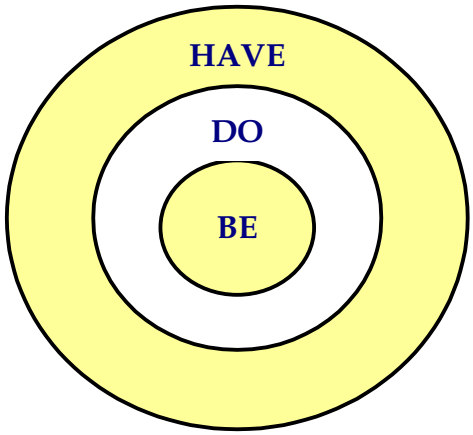

Habit 3: Put First Things First إدارة الوقت و تقديم الأهم على المهم

تعلمنا في العادة الثانية أنَّ الناجحين يشغلهم دائماً السؤال حول ما إذا كانت أهدافهم في هذه الحياة واضحة أم لا ؟! وأنَّ هذه الأهداف هِيَ التي لا يعملون إلا على تحقيقها ، عملاً لا يشغلهم عن تأدية ما عليهم من واجبات. وعلمنا أيضاً كيف أنَّ **أكثر الناس يعيشون حياتهم في أداء واجبات وليس في تحقيق أهداف**.
كما رأينا في العادة الثانية كيف يبدأ الناجحون بمباشرة الشعور بالمسئولية في اختيار أهدافهم في الحياة وجعلها واضحة ، ففي العادة الثالثة سنرى كيف يُسَخِّرُ الناجحون أوقاتهم لخدمة هذه الأهداف حتّى لا يطغى على أوقاتهم ما يحول دون تحقيقها.

الإنسان الناجح يُذَكِّر نفسه دائماً بهذه الأسئلة ، حتى لا يحيد عما رسمه لنفسه من أهداف:
- ما هو ترتيب أولوياتك؟
- كم من الوقت تقضيه في أمور لا تخدم أهدافك في الحياة؟
- كم من أهداف الآخرين تهتم بها على حساب أهدافك؟
- هل أُحْسِنُ إدارةَ وقتي لخدمة أهدافي التي أعرفها؟ أم لا؟!

Effectiveness requires balancing important relationships, roles and activities. First things are those we find most worth doing. They move us in the right direction towards achieving our purposes as expressed in our Mission Statement. It must always be remembered that: *"Things which matter most should never be at the mercy of things which matter least"* – Stephan Covey.

All Activities can be classified by their importance and urgency, and from which the **Management Matrix** can be derived.

Importance (الأهمية)
An activity is important if you personally find it valuable and if it contributes to your Mission Values, and high priority goals.

Urgency (الضرورة)
An activity is urgent if you or others feel that it requires immediate attention.

	URGENT	NOT URGENT
IMPORTANT	**1** - Crises. - Pressing problems. - Deadline-driven projects, meetings.	**2** - Preparation & prevention. - Planning. - Values Clarification. - Building Relationships, empowerment & re-creation.
NOT IMPORTANT	**3** - Interruptions (phone calls) - Mails, reports & meetings. - Proximate pressing matters. - Many popular activities.	**4** - Trivial busywork. - Phone calls, & time wasters. - "Escape" Activities. - Irrelevant mail and most TV.

The Management Matrix is used to answer the following questions:
- *In which quadrant do I spend the largest percentage of time?*
- *What happens to my body, mind and organization if I stay in Quadrant **1** for too long?*
- *Which Quadrant do I spend time in when I'm not in Quadrant **1**?*

That Management Matrix is really very important for anyone of us, to identify the current activities he is involved in, and to which Quadrant it could be linked. Of course, Quadrant 3 and 4 do not occupy much time of the highly effective people.

"*Effective People have genuine Quadrant **1** crises and emergencies that require their immediate attention, but the number is comparatively small. They keep **P** (Production) and **PC** (Production Capability) in balance by focusing on the important, but not urgent, activities of Quadrant **2**".*

– Stephan Covey.

لقد عُنِيَ الإسلام بالوقت عناية عظيمة حتى عَدَّ مَن يُحسن الانتفاع بوقته، ويحاسب نفسه على ما فاته منه عن عَمدٍ أو سَهوٍ كَيِّساً يُرجى له الفلاح ، وعدَّ مَن يغفُل عن قيمته وخطورته ، ولا يُبالي بما في يديه من الوقت عاجزاً لا يُرجى له إلا الخسران المبين.
(الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانيّ) [رواه الترمذي].

لقد أصبح الوقت في الإسلام نِعمةً يُسْئَلُ عنها كل إنسان يوم القيامة ، وأصبحت تلك النعمة هِيَ رأس مال المؤمنين التي يُسئلون عن إنفاقهم منها ، وتصرفهم فيها يوم الحساب.
قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، (لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن أربع : عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله فيم اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه فيم عمل به) [رواه الترمذي].

ولما للوقت في حياة الإنسان من أهمية فإنَّ الرسول الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، يحُثُّ المؤمنين ألا يُضَيِّعُوا أوقاتهم سُدَىً ، و ألا تذهب أعمارهم و ليس لهم من العمل نصيب:
(اغتنم خمساً قبل خمس ، حياتَك قبل موتك ، و صحتَك قبل سقمك ، و فراغَك قبل شغلك ، و شبَابك قبل هرمك ، و غناك قبل فقرك). [صحيح الجامع]

إنَّ المسلم الحق يجب أن يُغالي بالوقت مغالاةً شديدة ، و كيف لا يُغالي وما هذا الوقت إلا عُمرُه طال أو قصر !! فهو إن سمح بضياعه ، و غفل عن يومه و غده ، و أخذ يمشي في هذه الحياة مُختالاً فرحاً بما آتاه الله مِن نعم ، لا يأبه بشكر نعمة ، أو تَعَهُّدِ أخرى بالعناية ، أو السعي لنيل ثالثة عسى الله أن يهبه إيّاها ، ويظل هكذا يعبث ويلهو ويلعب حتى ينظر فإذا أجله قد وقع على رأسه . . عندئذ فقط يصحو من نومه ، ويحاول أن يفيق من غفلته ، ويُنادي بملء صوته راجياً مستجيرا (يا رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ) . . . أو يقول متحسراً (رَبِّ لَولا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين) . . . هيهات. لقد استيقظ و استفاق بعد فوات الوقت . . لقد شعر بالندم حيث لا ينفع الندم . . لقد علم ما ضَيَّعَ على نفسه في الدنيا مِن فرص للتوبة والعمل حيث لا ينفع العلم.

ألم يعلم هذا وأمثاله قول الحق ، سبحانه وتعالى : (وَلَن يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) ؟!
لم هذه الغفلة؟!

نحن كثيراً ما نلهو ونلعب وما يكون القدر معنا إلا جاداً ، ونحن كثيراً ما نغفل عن أهدافنا ووظيفتنا في هذه الحياة فلا نصطدم إلا بسنن الله الثابتة في خلقه. ولقد غفلت من قبلنا أجيال وأجيال حتى أصبحت أُمَّتُنَا مُهَانَةً بين الأمم ، لا يرمقها أحدٌ بخير إلا فقدها ، و لا يرمقها أحدٌ بشرٍّ إلا وجدها ، إلا من رحم الله.
ما أحسب لسان حالنا إلا ويقول (إِنّا وَجَدْنَا آبَائَنَا عَلَى أُمَّةٍ و إِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُقْتَدُون) . .

إنَّ أحوال الناس في هذا الزمن غريبة ، و ندعو الله أن يُصلح أحوالنا و أحوالهم.
تجد مِن هؤلاء مَن لا يُبالي بإضاعة وقته فيما لا خير فيه في الدنيا و الآخرة ، ثُمَّ هو بعد ذلك لا يستحي أن يسطو على وقت غيره ، في غير نصيحةٍ يأخذها ، أو قولةِ حقٍ يقولها ، أو معرفةِ خيرٍ يسعى إليها.

مِن أجل ذلك فليس بصديق مَن لا يُحافظ على أوقاتك و لا يحترم أنَّ لك أهداف تسعى إليها . .
كلا ، ما هؤلاء بالأصدقاء . .

وعلى الجانب الآخر ، تجد مَن يُقبل على الأعمال الصالحة إقبال المُسرف المُكثر ، لا يلبث إلا أن يسأم و يَملّ فيُعرض كثيراً ، و يُقْبلُ قليلا. وهؤلاء قد نصحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله (يأيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإنَّ الله تعالى لا يمل حتى تملوا ، و إن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل) [البخاري ومسلم] وقال أيضاً (سدِّدوا ، وقاربوا ، واغدوا ، ورُوحُوا ، وشيئاً من الدُلْجَة والقصد تبلغوا) [البخاري ومسلم]

أدعو الله ألا أكونَ مِن هؤلاء أو هؤلاء ، ولا أحدٌ مِنَّا أجمعين . . آمين يا رب العالمين.

إنَّ الاستفادة بالوقت تشمل استثمار كل نعمة أنعم الله بها علينا ، و طلب كل نعمة قد أودع الله فينا ما يعيننا عليها. كل هذا يُستثمر في سبيل الأهداف التي قررها كل منا لنفسه ، عسى ألا يكون من الذين تمنَّوا على الله الأمَانِيّ ، فإنّ مَن جَدَّ وَجَد ، ومَن زرع حصد ، و لا نجاح إلا بالأخذ بالأسباب. هذه سُنَّة الله في خَلقِه ، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً ، ولن تجد لسُنَّة الله تحويلاً.

إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ولكنها تُمطر بركاتٍ على الذين يتوكلون على الله حَقَّ توكله ، و على الذين آمنوا واتقوا الله في ما آتاهم مِن نِعَم : (وَلَو أنَّ أهْلَ القُرَى آمَنَوا واتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ والأرْضِ ولَكِن كَذَّبُوا فَأخَذْنَاهُم بمَا كَانُوا يَكْسِبُون) [الأعراف - ٩٦]

إنَّ الغافلين عن سنن الله في خلقه لم يُحسنوا الاعتبار من الأمم السابقة كما أمرهم القرآن ، ولم يحسنوا السير في الأرض كما أمرهم القرآن ، ولم يُحسنوا النَّظَر لما في السماوات والأرض كما أمرهم القرآن. ويجلس مِن هؤلاء مَن يقرأ القرآن ، ويتبارى بختمه ويتسابق ، ولا يدري أنه حُجَّةٌ عليه يوم القيامة. .

ألم يأمرنا الحق سبحانه وتعالى بتدبر آياته المقرؤة في كتابه ، والمُشاهَدَة في خلقه ؟!
لماذا كان نظر غيرنا أطول؟! ولماذا كان فهمهم أعمق؟!
لماذا يكون هَمَّ بعضنا إذا أمسك كتاب الله أن يفرغ مِن السورة وكفى؟!
لماذا نتسابق في قراءة الآيات ولا نتسابق في تطبيق الآيات؟!
لماذا نظن اللّهَ ناصِرَنَا ، إن لم ننصره نحن أولاً؟!

لقد كان للإمام الغزالي مع هؤلاء وقفات طوال ، أسمَعَهُم فيها الحقَّ غيرَ آبهٍ للوم لائم أو بطش جبار.

إنَّ الوقت و قيمته له في تراثنا الكثير والكثير لمن أراد أن يقرأ . . إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب.

إنَّ الكلام عن الوقت لابد وأن يستدرج معه الكلام عن التوبة وهذه لها في تراثنا مجلدات . .
وكانت للإمام الغزالي كلمة للمُعرضين عن رب العالمين ، تستغرب ما هُمْ عليه مِن حال ، إذ قال : (لماذا لا يطير الناس إلى ربهم على أجنحة من الشوق والحب ، بدلاً مِن أن يُساقوا إليه بسياط مِن الخوف والرهبة. .؟!)

لماذا حقاً لا يعترف الإنسان بفضل الله عليه ، وفقره لمزيد نعمه عليه ؟!
لماذا حقاً لا يُقَدِّر بعضنا الله حَقَّ قدره؟! فيعلم أنَّ مَن أبدع هذا الخَلق لَهُوَ أحَقُّ أن يُعبد ويُطاع؟!
لماذا نُعرض عن الله وهو سبحانه يتودد إلينا وهو أشد ما يكون غنىً عِنَّا ، ونحن أشد ما نكون فقراً إليه؟!
لماذا لا نُقْبِلُ على الله إقبال المُحب على حبيبه ، أو إقبال العبد على وليّ نعمته ، أو إقبال الفقير على من بيده خزائن السماوات والأرض ، أو إقبال الضعيف المذنب على مَن وسعت رحمته كل شئ؟!

ألهذا الحد قست قلوبنا كما قست قلوبُ الذين مِن قبلنا ؟!
لماذا ننتظر ، وهل نملك في أيدينا ما نُعوِّضُ به هذا الانتظار ؟! هل نملك الوقت؟!

هل يجب أن ينتظر أحدنا مِن الله أن ينزع مِنْهُ نِعمةً مِن نعمهِ حتى يعلم أنها كانت عنده وديعة فيعود إلى الله تائباً ، راجياً أن يعوضه عنها خيراً ، وهو الذي ما شكر الله عليها قط؟!

هل يجب أن ننتظر المصائب حتى نذكر الله فيها؟ لماذا لا نذكره في السراء والضراء ذكر محبة ، وذكر شوق ، وذكر تسليم له ، وتفويض إليه ، وإجلال لما تفضل به علينا وتكرم؟!

الحق أنَّ الناس أعرضوا ، وأعرضوا ، حتى وصل الأمر إلى أن يُقسم الحق بذاته العليا على أنَّه الحق:
(فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ، إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثلَ مَا أَنَّكُم تَنطِقُون) [الذاريات - ٢٣]

لقد كان مِن الصحابة مَن بكى عند سماع هذا القسم ظَنّاً مِنهم أنّهم أغضبوا ربهم . . . فأين نحن منهم رضوان الله عليهم أجمعين..!

صدقاً قال الله تعالى: (وَلَئِن أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ، وَلَئِن أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ، إلا الَّذِينَ صَبَرُوا و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ) [هود – ٩،١٠،١١]

اللهم اجعل حُبَّك أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلينا. .
اللهم ارزقنا حُبَّك و حب مَن أحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك. .
اللهم اجعل حُبَّك أحب إلينا مِن دِفءِ غطاءٍ في بردٍ قارس ، ومن شربة ماءٍ باردٍ في صيفِ صحراءٍ قاحلة. .
اللهم لا تجعلنا من الغافلين ، و لا عن رحمتك من المطرودين ، ولا عن فضلك من المحرومين. .
اللهم ثبت قلوبنا على دينك في زمن زاغت فيه الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. .
اللهم اهدنا في كل أمورنا إلى التي هِيَ أقوم ، وأصلح لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا. .
اللهم أعفنا بما عففت به نبيك يُوسف ، واحفظنا بما حفظت به عبادك المُخلصين ، وارزقنا مما رزقت منه عبادك الصالحين ، واحشرنا يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. .
سبحانك لا راد لقضائك ، ولا معقب لأمرك ، ولا إله غيرُك . .
نستغفرك ونتوب إليك . .
نستغفرك ونتوب إليك . .
نستغفرك ونتوب إليك . .

Habit 4 : Seek First to Understand Then to Be Understood مارس مهارات التفاهم

قد يستغرب القارئ أن تكون هذه هِيَ العادة الرابعة بدلاً مِن أن تكون العادة الخامسة كما اتضح مما سبق من مقالاتٍ شرحت مكانَ كُلِّ عادةٍ مِن أختِها.
ولكنّي أرى أنَّ هذا هو مكانها الصحيح من العادات السبع كما شعرت أنَّ ذلك هو رأي الدكتور طارق السويدان أيضاً ، لأنه عندما تحدث عن العادات السبع للنجاح ، أورد هذه العادة في الترتيب الرابع وليس في الترتيب الخامس. وعلى العموم قد يصل القارئ لذات النتيجة بعد انتهائه من القراءة بإذن الله.

طبعاً من حقي أن أتفق أو أختلف مع الدكتور ستيفان كوفي الذي أنقل عنه هذا الموضوع أصلاً ، وذلك لأثبت أنّنا كمسلمين لا نُقَلِّد بدون وعي ، ولا نأخذ كُلَّ ما نجد ، ولكن تَعَلَّمنا مِن ديننا أن نُطِيل النظر في ما يَرِدُ علينا من أمور ، وتعلّمنا من ديننا أن نجادل بالحُجَّة وليس بالهوى ، وتعلمنا من ديننا كيف أن اختلاف علمائنا رحمة لنا ، ونحن نفخر بأنَّ دين الإسلام هو الذي علمنا هذا ، وهو الذي حث على طلب العلم ، ورفع مكانة أهله بين الناس ، ولم تكن بينه وبين العلم خصومةٌ أبداً ، ولكن الناس بآيات الله يجحدون. نحن نفخر بأنّ هذا الدين يرفض من لا عقل له ، ومن لا فكر له ، وما عاب على المُعرضين عنه إلا بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ولا يتفكرون.

كما شرحت من قبل ، فإنَّ العادات الثلاث الأولى كلها تتركز على الفرد ، بينه وبين نفسِه ، كيف يشعر بالمسئولية عن أفعاله واختياراته ، ثم كيف يختار هو أهدافه في الحياة ، ثم كيف يُسَخِّر وقتِه لتحقيق هذه الأهداف. والمُفترض أنَّ هذه العادات الثلاث إن مارسها الإنسان ممارسة حقيقية ، فإنها تَعبُرُ بِهِ مِن سجن التَّبَعِيَّة والاعتماد على الآخرين إلى حرية الاستقلال والاعتماد على النفس كما رأينا من قبل في قصة سيدنا الطفيل بن عمرو الدَوسِيّ رضي الله عنه وأرضاه.

ولقد عَرَّفتُ **مرحلة الاستقلال** هذه بأنها " **رفض التبعية المطلقة في الفكر والاعتقاد والسلوك لما يُخالف الحق**".

بوصول الإنسان إلى هذه المرحلة فإنه يكون قد خطا أول خطوة في سبيل النجاح ولكن لا زالت أمامه مرحلة أخرى لا يتم له النجاح الكامل إلا بها ، فما هِيَ ؟!

كُلٌ مِنَّا يعلم أنه لا يعيش وحده في هذه الدنيا ولكن هناك خلقٌ مثله ، يختلط بهم في كل مكان ، وكلٌ مِن هؤلاء له هو الآخر أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها ، فكيف الحال إذا استقل كل منهم بنفسه ، ولم يعتمد غير ذاته مرجعاً ، وغير رأيه حكماً ، وغير قوته جهداً يُبذل في سبيل تحقيق أهدافه؟!

بوجود هذا الخلق مع الإنسان كان لزاماً عليه أن يُدرك كيف يتعامل معهم بما لا يعوق تحقيق أهدافه أو أهدافهم ، حتى لا يتفرق الناس ، وتتشتت الطاقات ، ويُبذل من الجهد الكثير ولا يتحقق إلا القليل.
ولهذا فليس بناجح بعد مَن لا يصل إلى مرحلة التعاون والتواصل مع الآخرين. وما أعلم أحداً وصل إلى نجاح باهر وحده ، بغير صديق يساعده ، أو نصير ينصره ، أو صاحب رأيٍ ومشورةٍ ينصحه ، أو صاحب علمٍ يُعلِّمه. *(انظروا إلى الصحابة من الأنصار والمهاجرين مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم).*

وهذه المرحلة قد عرفتها أيضاً مِن قبل بأنها : "**توحد طاقاتك مع الآخرين في سبيل التعاون على البر والتقوى ، وما فيه خيرٌ للناس سواء في معاشهم أو آخرتهم**".

ولما كان هذا هو المراد تحقيقه كخطوة تالية وأخيرة لإدراك النجاح الباهر والكامل ، مِن خلالِ ثلاثِ عاداتٍ أُخَر ، كان يجب على الإنسان أن يبني علاقات قوية ووطيدة مع الآخرين.
وكانت أولى خطوات بناء هذه العلاقات مع الآخرين أن تُحسن الاستماع إليهم ، والإنصات لهم.

ما يستطيع أحد بناء علاقة قوية مع الآخرين بدون حسن الاستماع لهم ، وصدق الإنصات إليهم ، حتى يعلم فكرهم ، ويكشف ما يجول بخاطرهم ، فإذا تحاور معهم كان راشداً في كلامه ، حكيماً في أحكامه وآراءه ، عالماً بما يليق وبما لا يليق ، حذراً مما يضر ، ومستعيناً بما ينفع ، فلا ينفذ كلامه إلا إلى قلوبهم، ولا ينال من محاوريه إلا احترامهم وتقديرهم ، وبهذا تبدأ العلاقة القوية مع مَن شاء منهم.

أجمع أهل العلم ، ممن تكلم عن النجاح ، أن هذه هِيَ **أهم صفة من صفات الناجحين**. ولنقرأ ما قالـه الدكتور ستيفان كوفي عن هذه العادة ، ثُمَّ نُعَقِّب بعد ذلك.

Levels of listening

When other people speak, we listen at one of five levels: *ignoring*, *pretend listening*, *selective listening*, *attentive listening* or *Empathic Listening*. People who listen at the first four levels often pursue personal motives. People who practice the fifth level of listening , **Empathic Listening** (الإنصات المُتَعَاطِف)try to discover what the other person really means and feels from his of her point of view.

Levels of Listening	
Ignoring	Making no effort to listen
Pretend Listening	Making believe or giving the appearance you are listening.
Selective Listening	Hearing only the parts of the conversation that interest you.
Attentive listening	Paying attention and focusing on what the speaker says and comparing that to your own experiences.
Empathic Listening	Listening and responding with both the heart and mind to fully understand the speaker's words, intent and feelings.

These quotes are worth mentioning:
"*Everyone's life is so singular, so unique. Who will listen to understand that uniqueness?*"
"*I assume I don't fully understand, and I need to listen*"
"*If I listen first to understand, then I'll be better understood*"
"*The one who listens does the most work, not the one who speaks*" - Stephan Covey

Communication experts estimate that only 7% of our communication are represented by the words we say, another 38% by our sounds and how we say words and 55% by our nonverbals and body language.

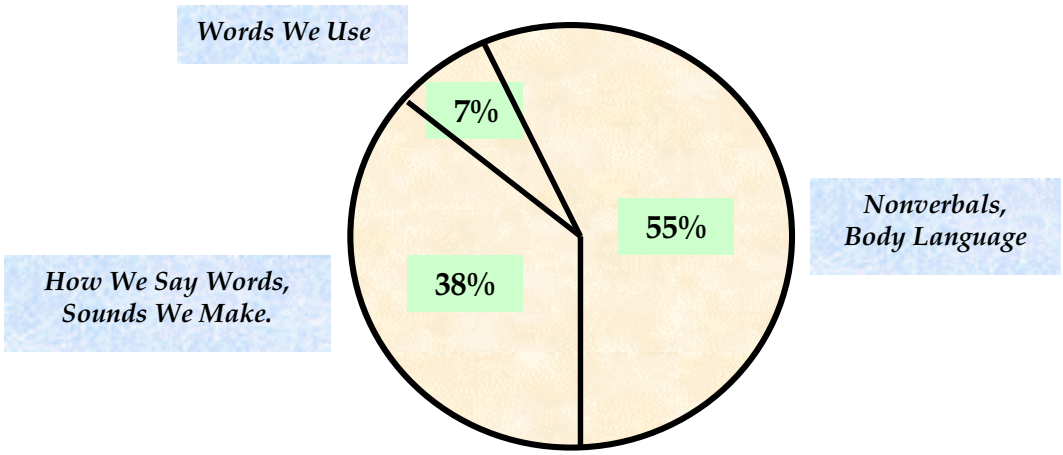

مما سبق يتبين أنه من أسس النجاح أن نحسن الإنصات لمن حولنا ، وألا نتسرع بأحكامنا قبل أن نفهم تماماً ماذا يريده الطرف الآخر منا.
فنحن عندما ننصت لبعضنا كأفراد ، أو لآبائنا كأبناء ، أو لأبنائنا كآباء ، فنحن لا ننصت لكي نُحَضِّر في عقلنا ما نرد به على هؤلاء ، ولا لكي نتبادل الاتهامات ، ولا لكي نتعالى ونتكبر على بعض ، ولا لكي نبرر تصرفاتنا بلا أسباب وجيهة ، فكل ذلك يُسمى ردود الفعل المدمرة التي يجب تجنبها.

ردود الفعل المدمرة:

١ - الإنصات لتحضير ما ترد به وليس للفهم.
يكفينا في هذا قول الإمام الشافعي "ما جادلت أحداً إلا و تمنيت أن يكون الحق على لسانه" وقوله أيضاً "قولي صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب".

٢ - تبادل الاتهامات في جلسة سماع نصيحة من شخص ما.
إذا جاءك من ينصحك فليكن هَمُّكَ أن تستمع منه وأن تعي ما ينصحك به ، ولا يكن هَمُّكَ أن ترد النصيحة بأخرى.

٤ - سرعة الرد. أعط لنفسك فرصة للتفكير قبل الرد.

٥ - إصدار أحكام مُسبقة.
يجب أن نكون على استعداد لتقبل الحق من أي إنسان مهما كانت دنو مكانته ، أو ضعف عشيرته ، أو صغر سنه. فكلٌ يُؤخذ منه ويردُّ عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦ - التبرير.
يجب أن نعترف بالخطأ إذا وقعنا فيه ، و ألا نخجل من أن يقول أحدنا "أنا آسف أنا أخطأت". وهذه من أسباب مشاكل كثيرة بين الناس وفي تربية الأولاد. أكثر الآباء لا يُحبون أن يعترفوا بأخطائهم أمام الأبناء ، وكذلك أكثر مَن يتولى مسئولية إدارة مَن هُم دُونَه. كلٌ يرى نفسه على حق ، وأنّه إن كان هناك مِن مُخطئ فهو فلان وليس أنا.
يجب أن يعلم الآباء أنَّ أولادكم لو لم يشعروا بأنكم تنصتون إليهم إنصاتاً حقيقياً ، فإنهم سوف يتجهون إلى من يُنصت إليهم ، وهؤلاء قد لا يُؤتمنون على قولٍ يقولُونَه ، أو فعلٍ يفعلُونَه.

٦ - التعالي والتكبر.
لقد أهلك مَن كان قبلنا مِن الأمم أنهم ما استمعوا إلى نصيحة نبيّ قط ، استكباراً من أنفسهم وظلماً وعلواً.
كان قوم نوح ، عليه السلام ، يضعون أصابعهم في آذانهم و يستغشون ثيابهم لئلا يصل إلى أسماعهم ما يقوله هذا النبيّ مِن الحق وشهد عليهم بقوله : (وإِنِّي كُلَّمَا دَعَوتُهُم لِتَغفِرَ لَهُم جَعَلُوا أَصَابِعَهُم فِي آذَانِهِم واسْتَغْشَوا ثِيَابَهُم وأَصَرُّوا واستَكْبَرُوا استِكْبَارًا) [نوح - ٧]
وهم الذين قالوا له مِن قبل تعالياً عليه وعلى مَن اتبعه (وقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ مَا نَرَاكَ إلا بَشَرًا مِثلَنَا ومَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلا الَّذِينَ هُم أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأيِ ومَا نَرَى لَكُم عَلَينَا مِن فَضلٍ بَل نَظُنُّكُم كَاذِبِين) [هود - ٧]

ومِن بعدهم تكبر قوم هود عليه السلام (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَينَا أَوَعَظْتَ أم لَم تَكُن مِّنَ الوَاعِظِينَ ، إن هَذَا إلا خُلُقُ الأَوَّلِينَ ، ومَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِين) [الشعراء – ١٣٦،١٣٧،١٣٨]

وما كانت ثمودُ بخيرٍ مِن أخواتها مع نبيهم صالح عليه السلام (قَالَ المَلأُ الَّذِينَ استَكْبَرُوا مِن قَومِهِ لِلَّذِينَ استُضْعِفُوا لِمَن آمَنَ مِنهُم أَتَعلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ؟! قَالُوا إنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ استَكْبَرُوا إنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ) [الأعراف – ٧٥،٧٦]

وكان قوم شعيب قومٌ بُهْت ، يظل سيدنا شعيب ، عليه السلام ، يتكلم معهم و ينصحهم ويأمرهم بالخير فما تكون لهم إلا قولة باطل (يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ) [هود - ٩١] .. زعموا أنهم لم يفهموا شيئاً. ولم يكتفوا ، لعنهم الله ، بمقالتهم هذه التي تُحبط جهد نبيهم معهم ولكن تكبروا وقالوا (وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً ولَولا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ومَا أنتَ عَلَينَا بِعَزِيز) [هود - ٩١].

وجاء من بعد هؤلاء فرعون من الفراعنة ، طغى وبغى ، وزينت له حاشيةُ السُوءِ نفسَه و مُلكَه حتى عاش في ملكوت كلمة **(أنا)**. وما زالت تنفخ فيه هذه الحاشية كِبراً وغروراً وما زال يقول **أنا** ، وهم يزينونها له حتى فقد الأحمق عقلَه و قال (أنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى) [النازعات - ٢٤] . . فما كان من رب السماء والأرض إلا أن أهلكه هو ومن معه أجمعين بآية واحدة من آيات الحق المبين . . وما هِيَ من الظالمين ببعيد.
لقد كان لهذا الفرعون قصة مع الكبر و الإسراف لا تسعها هذه الصفحات.

كان إمامُ هؤلاء جميعاً هو إبليس اللعين الذي تكبر على أمر رب العالمين. فما لهم في الآخرة إلا النار ، خالدين فيها أجمعين ، ساءت مستقراً ومصيرا.

كان الإمام الغزالي يُعلِّق على الأمم الظالمة ومصائرها وما نالها من سُنن الله بقوله :
"إن الأمم الفاسدة تلتقي على نعوت واحدة ، قسوة لا ترق لضعف ، وجحود لا يكترث بوعظ ، وعكوف على الدنيا غير آبه لما بعدها ، ونسيان لله لا يبالي بحقه "

لعل موضوع الكبر وأقوال الأمم السابقة يحتاج إلى بحث مُفصَّل ، ولكن لنعود إلى أدب النُّبُوَّة لنتعلم من نبينا كيف يكون الإنصات و حسن الاستماع للآخرين عسى أن يهدينا الله جميعاً لأقرب من هذا رشدا:

لقد ذكر الدكتور طارق السويدان طرفاً من هذه القصة ، وبحثت عنها فلم أجدها مُفَصَّلَةً إلا في كتاب (**السيرة المحمدية تحت أضواء العلم والفلسفة**) للعلامة محمد فريد وجدي ، ولست أنا مَن لَقَّبَهُ بالعلامة ، ولكن كان الإمام الغزالي لا يذكره إلا بهذا اللقب.

قال العلامة محمد فريد وجدي - ما معناه - :
(لما رأى المُشركون أن ما صبوه على المُسلمين من ضروب الأذى والاضطهاد لم يزدهم إلا تمسكاً بدينهم ، وتعلقاً بنبيهم ، اجتمع قادتهم وتشاوروا فيما يعملون. فأشار عليهم عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً مُطاعاً ، بأن يذهب إلى محمد فيعرض عليه أُموراً لعله يقبلها ويُقلع عما هو ماضٍ فيه. فقبلوا رأيه.
فذهب إلى النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فصادفه يُصلِّي ، فلما أتمَّ صلاته فاتحه الحديث وقال له : (يا ابن أخي إنَّك مِنَّا حيث قد علمت ، من خيارنا حسباً ونسباً ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وعبت آلهتم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع مِنّي أعرض عليك أُموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها)

فقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، (قُل يا أبا الوليد أسْمَعْ) . .)

قبل إكمال القصة لابد هنا من وقفة.
إنَّ الموقف كان عصيباً ساعتها على المُسلمين ؛ كان المُشركون ينالونهم بألوان من العذاب والاضطهاد لاتباعهم هذا الدين ، وكان المُسلمون في ألم و نصب من ذلك الذي ينالهم ، ومجيء سيد من سادات هؤلاء الكفار كسفير لهم بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لَهُوَ أمرٌ يستحق الاستماع عسى أن يكون فيه رفعٌ للأذى عن المُسلمين.
ومن أجل ذلك ، نجد أنَّ الرسول الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، يُعطي عتبة بن ربيعة الفرصة لكي يبدأ بالحوار و يَعرض مقالته عليه. وحسناً بدأ الرجل إذ أثنى على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ووعده أن يعرض عليه ما تقر به عينه. فبماذا أكْمَلَ الرجل ؟

(قال عتبة :)
يا ابن أخي إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفاً سَوَّدناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيٌّ من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوَى)

فقال له النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، (أفرغت يا أبا الوليد ..؟!)

قال : (نعم) ، قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، (فاسمع مِنِّي) : . .)

هُنا لنا وقفة أُخرى.
لقد توقع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أن يسمع كلاماً طيباً يرد الحق لأهله ، وكانت تكفي أول جملة قالها عتبة لتشير أن الرجل سفيه لم يفقه الحق الذي يدعوا إليه النبيّ.
والغريب أنَّ سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قد صبر على مقالة عتبة بعد تبين ضلالها من أول جملة ، ولم يكتفي صلوات الله وسلامه عليه بأن تركه يُكمل مقالته ، وإنما تأكد من ذلك بأن يسأله (أفرغت يا أبا الوليد ..؟!).

إننا أمام موقف عظيم :
هذا سيد الأنبياء والمُرسلين وإمام المُتّقين يدعوا للحق والخير والعدل ، وعبادة الله الواحد الأحد ، والإيمان بالبعث والجنة والنار ، وذاك رجلٌ سفيه يريد أن يُثنيه عما أراده من إبلاغ الحق للناس ويقول له نعطيك مالاً وملكاً وسلطاناً ، ومع ذلك فالنبيُّ يستمع إليه وينصت ولا يبدأ بالحديث إلا بعد أن تأكد أنَّ الرجل قد فرغ من مقالته ، ولم يعد عنده ما يُكمل به حديثه . . ألا فليعي ذلك المُتكلمون.

أظُنُّ أنَّني لو قابلت واحد من هؤلاء وقال لي أتريد مالاً ؟ ؛ لم أكن لأدَعَهُ يُتِمُّ حديثَه ، بل كنت سأثور عليه ، أو على الأقل كنت سأنصرف عنه وأتركه يهذي . . ولكن مَا هكذا علمنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم. بل علمنا أن ننصت ونستمع حتى لمُخالفينا في العقيدة ، ولمن ليست عندهم عقيدة أصلاً حتى نفهم مقالتهم ونُحسن الرد عليهم ، وهذا من الجدال بالتي هِيَ أحسن الذي أمرنا الله به جميعاً. ومن أراد زيادةً من ذلك ففي سيرة رسولنا من تلك المواقف الكثير والكثير.

والآن بعد أن رأينا رحمة النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ،في الاستماع والإنصات عسى أن يزولَ الأذى عن المُسلمين ؛ لنتأمّل الآن عِزّة النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، بدينه وثقته أنَّ الله ناصرٌ هذا الدين نصراً مُؤزرا ، وأنه ما كان له أن يقبل في دين الله بغير ما أمره الله به.

ماذا قال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك ؟
(قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، (فاسمع مِنّي) :
(بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حم ، تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِن بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ. الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ. قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ، ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ. إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ ، قَالُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً ، فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) [فصلت: ١ - ١٤]

لما انتهى النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، إلى هذا الحد ، أمسك عتبة بفيه وناشده الرَّحِم أن يَكُفَّ عن قراءته.
فلما رجع عتبة إلى قريش قال لهم : (والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة ، ولا بالسحر. يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي ، خلّوا بين الرجل وما هو فيه ، فاعتزلوه. فوالله لَيَكُونَنَّ لكلامه الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فعِزُّه عِزُّكم).
فقالوا له : لقد سحرك محمد. فقال : هذا رأيي ، وتركهم وشأنهم)

هذا مما في ديننا من الحكمة و قد قال الحق : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [فصلت – ٣٤، ٣٥].
نعم إنَّ الصبر على الناس مطلوب ، وبدونه ما يكون هناك تفاهم بينهم ، و لا علاقات تربط بعضهم ببعض.

هذا هو ما في ديننا ، ولكن أين نحن من ذلك ؟!
هل يُنصت أحدنا للآخر كما تعلمنا من القصة السابقة؟!

لقد كان هذا الإنصات من النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، لسفيهٍ في أمور العقيدة والإيمان فما بالنا لا ينصت بعضنا لبعض في أمور حياتنا العادية ؟!

الحق أن المُسلمين اختلفوا وأنهم ما اجتمعوا على كلمةٍ سواء ، ولكن ظهرت الفرق ، وظهر إعجاب كل ذي رأيٍ برأيه ، و غرور كل ذي فكر بفكره ، وتكبر كل جاهل بما عنده من النعم ، ثم سار على درب هؤلاء الجاهلون ؛ فأصبحنا كما نحن الآن ، أصبحنا غثاء كغثاء السيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ما يجوز لنا أن نمر على هذه العادة بدون أن نتكلم في حكمة الاختلاف الفقهي و آفة التعصب المذهبي و هذا يكون في بحثٍ آخر بإذن الله ، سبحانه وتعالى.

اللهم اجعلنا مِن الذين يَستَمِعُونَ القول فيَتَّبِعُونَ أحْسَنَه ،
ولا تجعلنا مِن الذين قالوا سَمِعْنَا وهُمْ لا يَسْمَعُون. . .

لا زلنا مع العادة الرابعة : "**مارس مهارات التفاهم** " أو " **أنصت للآخرين قبل أن تتحدث إليهم**" ، وأظنُّ أنَّني أحتاج هنا للإطالة قليلاً أو كثيراً ، حيث إنَّها ، كما أشرت ، أهَمُّ عادة من العادات السبع. . .

الحمد لله أنَّ في ديننا من الحكمة في هذا الأمر ما يُغنينا عن الاستماع لأيّ أحد من الغرب أو الشرق ، وطبعاً نحن نُؤمِن مِن البداية أنَّ في ديننا ما يفوق موضوع العادات السبع بكثير ، ولكن يبقى علينا الواجب أن نُظهِر ذلك للنَّاس ، وأن نفخر بإظهار ذلك تطبيقاً في أقوالنا وأفعالنا. فنحن بعد أن نُطَبِّق ذلك على أنفسنا أولاً ؛ قد يُوَفِّقُنا الله لإدراك ما هو أكثر منه وأشمل ، مِمَّا في ديننا من الحكمة.

أرى أنَّ الكلام لابد أن يشمل موضوعين قبل إسقاطه على حياتنا المعاصرة ، وما فيها من فُرْقَة وتَعَصُّب:
أولاً : أدب الحوار في الإسلام.
ثانياً: لمَّا كان هذا الحوار لا يستلزم اتفاق المتحاورين ، فيُعتبر بالتالي وجود الاختلاف نتيجة متوقعة لبعض الحوارات. هنا يجب أن نتكلم عن **أدب الاختلاف في الإسلام**.

سأبسط مجال القول كثيراً للإمام الشيخ : محمد الغزالي الذي أُحِبُّهُ في الله. .
وحُبُّ العلماء على العموم أمرٌ محمود ، ولقد قال الدكتور يوسف القرضاوي أنَّه يَتَقَرَّبُ إلى الله تعالى بحُبِّهِ للغزالي في مُقدِّمَةِ كِتابه عنه "**الشيخ الغزالي كما عرفته ، رحلة نصف قرن**" ، ولكنَّه لم ينسى أن يُشير إلى أنَّ هذا الحُب مَوصولٌ بالعدل ؛ فهو ليس بالحُب الذي لا يرى العيوب ، وهو ليس بالحُب الذي يُتَّهم بالتَّحيُّز ، ولكنَّه ذلك الذي يُعطِّي مُفَكِّرينَا وعلمائَنَا وأُدَباءَنَا ما يستحقونه من تكريم وتقدير في زمنٍ نسى فيه أكثرُ النَّاسِ عُلَمَائَهُم ، وافتخر آخرون بمَن لديهم مِنَ السُفَهَاءِ المُضِلِّين.

أعتقد أنَّهُ يجب على مَن يَكْتُب ألا يكتب شَغَفَاً بالكتابة ، ولكن يكتب ابتغاء الحق. وفي ذلك يَحْسُن دائماً الاقتباس مِمَّن هُوَ أبلغُ مقالاً ، وأقوى حُجَّة.
من أجل ذلك فإنِّي لا أستحْيي أن أُطيل النَّقْلَ عن الإمام الغزالي ، والجلوس للإنصات إليه. . .

لقد جمع الشيخ الموضوعين تحت عنوان **(أدب الحديث)** في كتابه (**خلق المسلم**) ، الذي يُعَدُّ مِن أفضل ما كُتِبَ في مجال الأخلاق.

لنجلس سوياً ، حول إمَامٍ مِن أئِمَّةِ الدَّعْوَة في هذا القرن. لنجلس مُنصتين كما عَلِمْنَا بعُقُولِنَا وبقُلُوبِنَا ، ولنستمع إليه إذ يُحدِّثُنَا نَحْنُ بقوله :

(نعمة البيان من أجَلِّ النعم التي أسبغها الله على الإنسان ، وكَرَّمَهُ بها على سائر الخلق :

(الرَّحْمَن ، عَلَّمَ القُرْآنَ ، خَلَقَ الإنْسَانَ ، عَلَّمَهُ البَيَانَ) [الرحمن – ١-٤]

وعلى قدر جلال النعمة يعظُم حقها ، ويستوجب شكرها ، ويُستنكر كُنُودها. وقد بين الإسلام كيف يستفيد الناس من هذه النعمة المُسداة ، وكيف يجعلون كلامهم الذي يتردد سحابة النهار على ألسنتهم طريقاً إلى الخير المنشود ؛ فإنَّ أكثر الناس لا ينقطع لهم كلام ولا تهدأ لألسنتهم حركة. فإذا ذهبت تُحصي ما قالوا ، وجدت جُلَّهُ اللغو الضائع أو الهذر الضار ، وما لِهذا رَكَّبَ الله الألسنة في الأفواه ، ولا بِهذا تُقدَّر الموهبة المُستفادة :
(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُم إلا مَن أمَرَ بصَدَقَةٍ أو مَعْرُوفٍ أو إصْلاحٍ بَينَ النَّاسِ ، ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤتِيهِ أجْراً عَظِيماً) [النساء – ١١٤]
وقد عُنيَ الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام ، وأسلوب أدائه ، لأنَّ الكلام الصادر عن إنسانٍ ما ، يُشير إلى حقيقةِ عقلهِ وطبيعةِ خُلُقهِ. ولأن طرائق الحديث في جماعةٍ ما ، تحكم على مستواها العام ومدى تغلغل الفضيلة في بيئتها . .

ينبغي أن يسائل الإنسانُ نفسَه قبل أن يتحدث إلى الآخرين.
هل هناك ما يستدعي الكلام؟ . . فإن وجد داعياً إليه تكلم ، وإلا فالصمت أولى به. وإعراضه عن الكلام حيث لا ضرورة له عبادة جزيلة الأجر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شئٌ أحوج إلى طول سجن من لسان) [الطبراني]

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (خمسٌ ، لَهُم أحسن مِن الدُهُم الموقفة (الموقف من الخيل: الجَيّد منها) : لا تتكلم فيما لا يعنيك ، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ..
ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً ، فإنَّ رب مُتَكَلِّمٍ في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه ؛ فَعُيِّب ..
ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإنَّ الحليم يُقليك ، وإنَّ السفيه يُؤذيك ..
واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تُحب أن يذكرك به ، واعفه مما تُحب أن يعفيك منه ..
واعمل عمل رجلٍ يرى أنَّه مجازىً بالإحسان ، مأخوذ بالإجرام) [ابن أبي الدنيا]

المسلم لا يستطيع هذا إلا إذا ملك لسانه ،وسيطر على زمامه بقوة ، فكبحه حيث يجب الصمت ، وضبطه حين يريد المقال. أما الذين تقودهم ألسنتهم إنما تقودهم إلى مصارعهم.

إنّ للثرثرة ضجيجاً يذهب معه الرشد ، وأكثر الذين يتصدرون المجالس ويتحدر منهم الكلام متتابعاً ، يجزم مُستَمِعُهم بأنهم لا يستمدون حديثهم من وعيٍ يقظ ، أو فكرٍ عميق ، وربما ظنَّ أنّ هناك انفصالاً بين العقل وهذا الكلام المُسترسل ! .

والمرء حين يريد أن يستجمع أفكاره ويراجع أعماله يجنح إلى الصمت ، بل إنه حين يريد أن يبصر نفسه ويرتب ذهنه ، يفر من البيئة الصاخبة إلى ريف صامت ، أو ضاحية هادئة ، فلا جرم أنَّ الإسلام يُوصي بالصمت ، ويُعده وسيلة ناجعة من وسائل التربية المُهذبة.
فمن نصائح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : (عليك بطول الصمت ، فإنّه مطردةٌ للشيطان ، وعون لك على أمر دينك) [أحمد]

أجل إنّ اللسان السائب حبل مَرخيّ في يد الشيطان يصرف صاحبه كيف يشاء. فإذا لم يملك الإنسان أمره ، كان فمه مدخلاً للنفايات التي تُلوِّث قلبه وتُضاعف فوقه حجب الغفلة.
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) [أحمد]
وأوَّل مراحل هذه الاستقامة ، أن ينفض يديه مما لا شأن له به ، وألا يُقحم نفسه فيما لا يُسأل عنه (من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه) [الترمذي]

والبعد عن اللغو من أركان الفلاح ، ودلائل الاكتمال ، وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الإسلام المُحكمة ، هما الصلاة والزكاة :
(قَدْ أَفْلَحَ الْمؤمِنُونَ. الَّذِينَ فِي صَلاتِهِم خَاشِعُونَ. والَّذِينَ هُم عَنِ اللغْو مُعْرِضُونَ. والَّذِينَ هُم للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) [المؤمنون – ١-٤]

لو أن العالم أجمع ، أحصى ما يشغل فراغه من لغو في القول والعمل ، لراعه أن يجد أكثر القصص المنشورة ، والصحف المشهورة ، والخطب والإذاعات لغواً مطروداً ، تعلق به الأعين ، وتميل إليه الآذان ، ولا تَرجع بطائل .! وقد كره الإسلام اللغو ؛ لأنه يكره التفاهات وسفاسف الأمور. ثُمَّ هو مضيعة للعمر ، في غير ما خُلق الإنسان له مِن جد وإنتاج.

وبقدر تنزه المُسلم عن اللغو ، تكون درجته عند الله.

عن أنس بن مالك قال: تُوُفِّيَ رجل ، فقال رجل آخر – ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع – : أبشر بالجنة. فقال رسول الله : (أو لا تدري؟ فلعله تكلم فيما لا يعنيه ، أو بخل بما لا يُنقصه) [الترمذي]
واللاغي ، لضعف صلته بين فكره ونُطقه ، يُرسل الكلام على عواهنه. فربما قذف بكلمة سببت بواره ودَمَّرت مُستَقبَلَه ، وقد قيل : مَن كَثُرَ لَغَطُه كَثُرَ غَلَطُه.

وقال الشاعر:

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجلِ

وفي الحديث : (إنَّ العبد ليقول الكلمة ، لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس ، يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض ! وإنَّ المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزلُّ عن قدميه) [البيهقي]

فإذا تكلم المرء فليقل خيراً وليُعَوِّد لسانه الجميل من القول ، فإنَّ التعبير الحسن عما يجول في النفس أدبٌ عالٍ ، أخذ الله به أهل الديانات جميعاً.
وقد أوضح القرآن أنّ القول الحسن من حقيقة الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل على عهد موسى.
(وإذْ أخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إلا اللهَ وبالوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِين ، وقُولُوا للنَّاسِ حُسْنًا ، وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ) [البقرة –٨٣]
والكلام الطيب العف ، يجمل مع الأصدقاء والأعداء جميعاً ، وله ثماره الحلوة.

فأمَّا مع الأصدقاء : فهو يحفظ مودتهم ، ويستديم صداقتهم ، ويمنع كيد الشيطان أن يُهي حبالهم ويُفسد ذات بينهم : (وقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أحْسَنُ ؛ إنّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُم ، إنّ الشَّيْطَانَ كَانَ للإنْسَانِ عَدُواً مُبِيناً) [الإسراء –٥٣]. إنّ الشيطان متربصٌ بالبشر ، يُريد أن يُقع بينهم العداوة والبغضاء ، وأن يجعل من النزاع التافه ، عراكاً دامياً ولن يسدَّ الطريق أمامه كالقول الجميل.

وأمّا حسن الكلام مع الأعداء : فهو يُطفئُ خُصومتهم ، ويكسر حدتهم ، أو هُوَ على الأقل يُقف تطور الشر واستطارة شرره. (ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَع بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ ، فإذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت –٥٣].

وفي تعويد الناس لطف التعبير مهما اختلفت أحوالهم يقول رسول الله : (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخُلُق) [البزار]. بل إنَّه يُرى الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة. (قَولٌ مَعْرُوفٌ ومَغْفِرَةٌ خَيرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذَى واللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) [البقرة –٢٦٣].

والكلام الطيب خصلة تسلك مع ضروب البر ومظاهر الفضل ، التي تُرشِّح صاحبها لرضوان الله ، وتكتب له النعيم المُقيم. رُوِيَ عن أنس قال : قال رجلٌ للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم : علِّمني عملاً يُدخلني الجنة:! قال : (أطعم الطعام ، وأفش السلام ، وصلِّ بالليل والنَّاس نيام ، تدخل الجنة بسلام) [البزار]

وقد أمر عزَّ وجَلَّ بأن يكون حجاجنا مع أصحاب الأديان الأخرى في هذا النطاق الهادئ الكريم ، لا عنف فيه ولا نكر ، إلا أن يجور علينا امرؤ أثيم ، فيجب كبح جماحه ، ومنع اعتدائه :
(ولا تُجَادِلُوا أهْلَ الكِتَابِ إلا بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم وقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنْزِلَ إلَينَا وأُنْزِلَ إلَيكُم وإلَهُنَا وإلَهُكُم وَاحِدٌ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [العنكبوت –٤٦]

وعظماء الرجال ملتزمون في أحوالهم جميعاً إلا تبدر منهم لفظة نابية ، ويتحرجون مع صنوف الخلق ، أن يكونوا سفهاء أو مُتطاولين. روى مالك أنه بلغه عن يحيى بن سعيد أنَّ عيسى عليه السلام مر بخنزير على الطريق ، فقال له : انفذ بسلام ! فقيل له : تقول هذا لخنزير ؟ فقال : إنِّي أخاف أن أعوِّد لساني النطق بالسوء !

ومن الناس من يعيش صفيق الوجه ، شرس الطبع ، لا يحجزه عن المباذل يقين ، ولا تُلزمه المكارم مروءة ، ولا يُبالي أن يتعرض للآخرين بما يكرهون ، فإذا وجد مجالاً يُشبع فيه طبيعته النزقة الجهول ، انطلق على وجهه لا ينتهي له صياح ، ولا تنحبس له شرّة.

والرجل النبيل لا ينبغي أن يشتبك في حديث مع هؤلاء ، فإنَّ استثارة نزقهم فسادٌ كبير ، وسد ذريعته واجب ، ومن ثَمَّ شرع الإسلام مداراة السفهاء.
حدث أن وقف رجلٌ من أولئك الجُهَّال أمامٍ بيت الرسول يريد الدخول ، فرأى النبيُّ أن يُحاسِنَه حتى يصرفه، ولم يكن من ذلك بُدّ ، فالحِلْمُ فِدَامُ (ما يُشَدُّ على الفم) السفيه ، ولو تركه يسكب ما في طبيعته الفَظَّة لسمع ما تتنزه عنه أذُناه!!
وعن عائشة قالت : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (بئس أخو العشيرة هو) فلما دخل إليه انبسط إليه وألان له القول ، فلما خرج قلت يا رسول الله ، حين سمعت الرجل قلت : كذا وكذا ، ثُمَّ تطلَّقت في وجهه وانبسطت إليه !! فقال : (يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إنّ من شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء فُحشه) [البُخاري]

وهذا مسلك تُصدقه التجارب ، فإنَّ الرجل لا يسوغ أن يفقد خُلُقَه مع مَن لا خُلُقَ لهم. ولو أنه شغل نفسه بتأديب كل جهول يلقاه لأعيته الحيل من كثرة ما سوف يلقى. ولذلك عدّ القرآن الكريم في أوائل الصفات التي يتحلّى بها عباد الرحمن ، هذه المُداراة العاصمة :
(وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرضِ هَوناً ، وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً) [الفرقان –٦٣]
(وإذَا سَمِعُوا اللغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ ، وقَالُوا : لَنَا أعْمَالُنَا ولَكُم أعْمَالُكُم ، سَلامٌ عَلَيكُم لا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ) [القصص –٥٥]

وقد يكظم الإنسان غيظه مرة أو مرتين ثم ينفجر . بيد أنَّ المطلوب مِن المُسلم الفاضل أن يُطاول الأذى أكثر حتى لا يدع الشر يسيطر على الموقف آخر الأمر.
عن سعيد بن المسيب قال : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه وقع رجلٌ بأبي بكر ، فآذاه ،فصمت عنه أبو بكر ، ثُمَّ آذاه فصمت عنه ، ثُمّ آذاه الثالثة ، فانتصر أبو بكر رضي الله عنه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبو بكر : أوَجَدْتَ عليَّ يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن نزل ملك من السماء يُكذبه بما قال ، فلما انتصرت ، ذهب الملك وقعد الشيطان ، فلم أكن لأجلس إذ قعد الشيطان) [أبو داود]

ومداراة السفهاء لا تعني قبول الدَنِيَّة ، فالفرق بين الحالين بعيد!
الأولى ضبط النفس أمام عوامل الاستفزاز ومنعها طوعاً أو كرهاً من أن تستجيشها دواعي الغضب وإدراك الثأر. أما الأخرى فهي بلادة النفس ، واستكانتها إلى الهون ! وقبولها ما لا يرضى به ذو عقل أو مروءة.
وقد أعلن القرآن محبته لمداراة السفهاء وكراهيته لقبول الدَنِيَّة :
(لا يُحِبُّ اللّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلا مَن ظُلِمَ وكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً. إن تُبْدُوا خَيراً أو تُخْفُوهُ أو تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإنّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيرَا) [النساء – ١٤٨،١٤٩]

ومن الضمانات التي اتخذها الإسلام لصيانة الكلام عن النزق والهوى تحريمه الجدل ، وسده لأبوابه ، حقاً كان أو باطلاً.

ذلك أنّ هناك أحوالاً تستبد بالنفس ، وتُغري بالمُغالبة ، وتجعل المرء يناوش غيره بالحديث ، ويصيد الشبهات التي تدعم جانبه ، والعبارات التي تروج حجته. فيكون حب الانتصار عنده أهم من إظهار الحق. وتبرز طبائع العناد والأثرة في صورٍ منكرة ، لا يبقى معها مكان لتبينٍ أو طمأنينة.
والإسلام ينفر من هذه الأحوال ويعدّها خطراً على الدين والفضيلة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(من ترك المراء وهو مُبْطِل بُنِيَ له بيتٌ في ربض الجنة. ومن تركها وهو مُحِق بُنِيَ له في وسطها ، ومَن حَسُنَ خُلُقُهُ بُنِيَ له في أعلاها) [أبو داود]

وهناك أُناسٌ أُتوا بَسطةً في ألسنتهم ، تُغريهم بالاشتباك مع العالم والجاهل ، وتجعل الكلام لديهم شهوة غالبة ، فهم لا يَملُّونَهُ أبداً. وهذا الصنف ، إذا سَلَّطَ ذلاقته على شؤون الناس أساء ، وإذا سلطها على حقائق الدين شوه جمالها وأضاع هيبتها.

وقد سخط الإسلام أشدَّ السخط على هذا الفريق المتقعر.
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) [البُخاري] وقال : (ما ضل قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) [الترمذي]

هذا الصنف لا يقف ببسطة لسانه عند حد ، إنه يريد الكلام فَحَسْب ، يريد أن يُباهي به ويستطيل. إنَّ الألفاظ تأتي في المرتبة الأولى ، والمعاني في المرتبة الثانية ، أما الغرض النبيل فربما كان له موضع أخير ، وربما عَزَّ له موضع ، وسط هذا الصخب.
ولقد حدث أنَّ واحداً من أولئك الأغرار وفد إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، عليه شارةٌ حسنة ، فجعل النبيُّ لا يتكلم بكلام إلا كلفته نفسه أن يأتي بكلام يعلو كلام النبيّ صلى الله عليه وسلم . !!
فلما انصرف قال رسول الله : (إنّ الله لا يُحب هذا وأضرابه ، يلوون ألسنتهم لَيَّ البقر بلسانها المرعى. كذلك يلوي الله تعالى ألسنتهم ووجوههم في النار) [الطبراني]

والجدال في الدين ، والجدال في السياسة ، والجدال في العلوم والآداب ، عندما يتصدى له هذا النفر من الأدعياء البُلَغَاء ، يفسد الدين وتفسد السياسة والعلوم والآداب.

ولعل السبب في الانهيار العمراني ، والتحزب الفقهي ، والانقسام الطائفي وغير ذلك مما أصاب الأمة. هو هذا الجدل الملعون في حقائق الدين وشؤون الحياة.

والجدل أبعد شئ عن البحث النزيه والاستدلال المُوفق.

رُويَ عن عدد من الصحابة ، قالوا : خرج علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوماً ونحن نتمارى في شئٍ من أمر الدين. فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثُمَّ انتهرنا فقال : (مهلاً يا أُمَّةَ محمد ، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلة خيره. ذروا المراء فإنّ المُؤمن لا يُماري. ذروا المراء فإنّ المماري قد تمت خسارته. ذروا المراء فكفى إثماً ألا تزال مُمارياً. ذروا المراء فإنّ المماري لا أشفع له يوم القيامة. ذروا المراء فأنا زعيمٌ بثلاثة أبيات في الجنة .. رباضها ،ووسطها ، وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق. ذروا المراء فإنّ أول ما نهاني عنه ربّي بعد عبادة الأوثان المراء) [الطبراني] . .)

هذا مما قاله الإمام الغزالي رحمه اللّه . .

كنتُ أتعجب مِن قبل كيف أنهم عَلَّمونا في الصغر كيف نتكلم ، ولكن ما وجدت أحداً يُعَلِّمنا في الكِبَر كيف نصْمُت ..!!

مِن النّاس مَن يتعَلَّم العلم ليباهي به العلماء ، وليماري به السفهاء ، وليَتَخَيَّرَ به المجالس ولقد نهانا رسولنا صلى اللّه عليه وسلم عن كل ذلك. وأثناء الدراسة ، كنت ألاحظ هذه الآفة منتشرة في بعض الزملاء ، تستشعر مِن سؤال أحدهم أنَّه ما قام إلا ليسأل . . ما قَامَ ليفهم أو ليعلم . . ولو أنه أراد ذلك لكان في إنصاته خيرٌ له. ومن الخطأ أن نظن أنَّ أمثال هؤلاء لا يتواجدون في كل مجال ، حيث يجب الحذر منهم. ولقد حاولت جَهدي أن أحارب هذه الآفة في نفسي لأنّني كان يُثيرني ضعف بعض الأساتذة وغرور البعض الآخر.

النتيجة العجيبة مما سبق من كلام ، أنّ **الصمت وحسن الإنصات** في ديننا يُعتبرانِ الآن من العبادات المهجورة..!!
نعم ، عندما هجر المُسلمون الصمت والإنصات وصدق الحديث مع الناس ، وانشغلوا بالجدال والمراء وتصيد الأخطاء والسقطات ، ظهر الخلاف ، وانتشر التعصب ، وذهبت ريح الأمة فيما لا طائل وراءه من كلام واختلاف ، مع أنَّ الحق سبحانه وتعالي حذرنا من ذلك عندما قَصَّ علينا أخبار الأمم السابقة :
(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللّهُ النَّبيينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ ، وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بالحَقِ لِيَحْكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. ومَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْياً بَينَهُم. فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَق بِإِذْنِهِ واللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [البقرة –٢١٣]
(ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ ، وأُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران –١٠٥]

ليس هذا الصمت هو الذي تُغلق فيه الأفواه والعقول معاً ، ولكن ما أقصده من الصمت هو ذلك الذي يُعطي الآخرين الفرصة للتعبير عن أنفسهم ، ويُعطي المُستمع الفرصة للتفكير فيما يقولون. فقد أُثِرَ عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم أنه كان صمتُهُ فكرا. .

حسنٌ ، إذا كان الأمر كذلك فلماذا اختلف الفقهاء ؟! ولماذا التَعَصُّب للمذاهب ؟! وكيف لا يجتمع المسلمون على كلمةٍ واحدةٍ في ما هو من المُحكمات من آيات ربهم؟!!

لقد ألَّفَ الإمام الغزالي كتاباً سَمَّاه (**دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**). شرح فيه تحديات الدعوة الإسلامية ، وما أُثِرَ مِن مُقترحات لعلاج العثرات ولَمّ الشمل. وأورد فيه أسباب كثيرة منطقية للخلاف الفقهي ، وعرض فيها لمدرسة الرأي ومدرسة الأثر والمدارس الأخرى ، وأشار إلى احترام كل الفقهاء لمن خالفهم في إطار من الأدب الإسلاميّ الرفيع. وانتقل بعد ذلك إلى آفات التَعَصُّب التي أصابت أُمَّتَنَا ، ثُمَّ حاول التقريب بين جميع الفرق على الأصول التي يؤمنون بها ، ونصيحتهم بقبول الاختلافات في الفروع التي لا تنقص من الدين شيئاً.

وقد أورد في كتابه رسالة الإمام ابن تيمية (**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**) ، التي ذكر فيها الإمام ابن تيمية عشرة أسباب منطقية للخلاف الفقهي ودور أحاديث الآحاد في تعدد المذاهب.

كنت أريد أن أسرد هذا الجزء عن رسالة الإمام ابن تيمية في بحث آخر ، ولكنّي أرى أنه من الحكمة ألا نتعمَّق أكثر مِن ذلك ، ويكفيني أنّي أشرت إلى الكتاب ليقرأه مَن أراد.

ولكن أنقل جانباً من تعليق الإمام الغزالي عن التعصب المذهبي:
قال الإمام الغزالي في كتابه (**دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**):
(للرأي الفقهي مكانته العلمية المرموقة ، ولمن شاء أن يأخذ به ، وأن يدعو إليه غيره ..
ونحن قد نُؤثر رأياً على رأي لأنّ اقتناعنا بهذا أكثر من اقتناعنا بذاك ، أو لأنّ هذا الرأي أدنى إلى تحقيق المصلحة العامة ، وأرفق بعباد الله.
والشيء الذي نرفضه ويرفضه جمهور العقلاء أن يحسب أحد الناس أنَّ رأيه دين ، وأنَّ مَا عَدَاهُ ليس بدين وأن يجمد على ما عنده جموداً قد يضر بالإسلام كله ويصدع وحدته.
وتنفيراً من هذا المسلك نقرأ قوله تعالى : (وأَقِيمُوا الصَّلاةَ ولا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُون) [الروم –٣١،٣٢]
وقد قرأت ورأيت من أمراض التعصب المذهبي ما يثير الاشمئزاز ويدعو إلى الدهشة. وكأنَّ الذين خاضوا هذه المعارك الجدلية يقصدون إلى تمزيق المسلمين ، وإهانة معارضِيهم في الفكر بعلل مُختلقة.)

وقال أيضاً : (لقيت مُتعصبين كثيرين ، ودرست عن كثب أحوالهم النفسية والفكرية ، فوجدت آفتين تفتكان بهم:
الأولى : العجز العلمي ، أو قلة المعرفة!
هؤلاء يحفظون نصاً وينسون آخر ، أو يفهمون دلالة الكلام هنا ويجهلون أخرى وهم يحسبون أنَّ ما أدركوه الدين كله. ولو أنَّ هؤلاء اكتفوا بمنزلة المتعلم التابع ما عَابَهُم ذلك كثيراً ، فليس كل مسلم مطالباً بمعرفة جميع الأقوال الواردة والدلالات المُحتملة.
المصيبة أن يشتغلوا مفتين أو موجهين وهُم بهذا المستوى الهابط.)

ثُمَّ قال الشيخ : (إنَّ القصور العلمي عند هؤلاء وأمثالهم هو مَثَارُ الشَّغب والفوضى.
والآفة الثانية في التعصب المذهبي : سوء النية. ووجود أمراض نفسية دفينة وراء السلوك الإنساني المُعْوَج ، ويغلب أن تكون آفات الظهور والاستعلاء ، أو رذائل القسوة والتسلط.

كنت في مجلس قرآن ختم القارئ فيه التلاوة بقوله صدق الله العظيم . فإذا جالس ينتفض كأنما لسعته عقرب يقول : هذه بدعة . . . قلت له : لا أبحث معك أنها بدعة أو سُنّة ، وإنما أسألك : ما هذا الفزع؟ لَكَأَنَّمَا سقط على رأسك حجر !! الأمر مَا يُعالَج بهذه العاصفة. اجلس.
ورأيت في أحد مساجد القاهرة رجلاً تأخرت به السِنّ يُوشك أن يضرب نفراً من الطلاب الذين صلوا ورءوسهم عارية. أخذت على يديه ، وأفهمته أنَّ الرأس ليس بعورة ، وأنّ الصلاة صحيحة ، وأنَّ مسلكه خطأ ، فما تركهم إلا مغلوباً على أمره ، غير مُقتنعٍ بما قلت.

هذا الصنف من الناس لم يُهذِّب نفسه بالأخلاق التي بُعِثَ صاحبُ الرسالة ليُتَمم مكارمها . . إنَّ صور العبادة عنده غطاء لقلبٍ غليظ ، وغرائز فجة. وهو يجد مُتعة في قضايا الخلاف ليثور ويفور ، وظاهر أمره الغضب للدين ، وهو في الحقيقة يُنَفِّس عن طبيعة مُعْتَلَّة ، وتربية ناقصة أو مفقودة.
أرأيت إلى الشخص الذي قال لرسول الله : اعدل ، هذه قِسْمَة مَا أُريد بها وجه الله !
إنه – والله – ما يغار على عدالة ، ولا يأبى على جور. إنه طالب ظهور عن طريق الغيرة على القيم ، يُريد أن يُقال عنه : استلفت مُعلم الإنسانية إلى ما فاته ، وأدرك ما لم يدركه ، وهو صاحب الرسالة العُظمى.
إنه هو وأمثاله كما قال رب العالمين (إن فِي صُدُورهِم إلا كِبْرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ) [غافر –٥٦]
ولقد تألم رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الكلام وقال لصاحبه : (وَيحَكَ مَن يَعدِل إن لَم أعْدِل ، خبت وخسرت إن لم أعدل)

هناك الكثير مما قد يُقال عن أدب الحوار و الخلاف في الإسلام ، وعند التَأمُّل في قصص القرآن قد نخرج بما هو أكمل وأشمل. ومن هذا القصص كثير :
- تأملوا الأدب الراقي في حديث سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع أبيه في سورة مريم.
- تأملوا دعوة سيدنا موسى عليه الصلاة و السلام – باللين الذي أُمر به – مع أطغى أهل الأرض ، فرعون، في سورة طه والأعراف وفي غير ذلك من سور القرآن.

- تأملوا دعوات الأنبياء جميعاً في سور الأعراف و هود والشعراء ، ولِنَقِفْ طويلاً لنسمع خطيب الأنبياء ، سيدنا شُعيب ، صلى اللّه عليه وسلم ، في محاجاته قومه في سورة هود.
- تأملوا أدب طلب العلم في مرافقة سيدنا موسى صلى اللّه عليه وسلم للعبد الصالح في سورة الكهف.
- تأملوا إنصات سيدنا يوسُف لسجينين كافرين مِن بيئةِ الظلم والعدوان وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.
- تأملوا الإنصات الشديد مِن ابن لُقمان لأبيه في سورة لُقمان. لم يَذكر القرآن أنَّ الابن عَقَّبَ على أبيه بأيّ شئ..!!

أريد في النهاية أن أُعقِّبَ على أمرين أرى فيهما تعصباً شديداً :
المُصافحة بعد الصلاة ، وصيغة التكبير يوم العيد.

المُصافحة بعد الصلاة:
كان المُسلمون يعرف بعضهم البعض على أيام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وكانت قلوبهم على قلب رجل واحد في عهد الخلفاء الراشدين قبل اختلافهم فيما بعد.
أمَّا الآن ، فتجد الرجل يُصلّي بجانب أخيه أغلب الصلوات وهو لا يعرفه ، وإذا مَدَّ إليه أخوه يده بالمُصافحة بعد الصلاة ، فإنَّك تجد ردّ الفعل غريباً :
منهم من يتظاهر بأنّه لم يرى يدك أصلاً ، ومنهم من يخطف يدك في السلام بغير أن ينظر في وجهك ، ومنهم ينظر إليك مذهولاً كأنك فعلت شيئاً غريباً بمصافحته ، ومنهم من يعبس في وجهك أو يتكلف الابتسام ، ومنهم من يرفض السلام ويقول لك : هذه بدعة..!!

ما هكذا أُمِرْنَا أن نرد التحيَّة بأحسن منها ، وما هكذا تتألف القلوب . .
ألم يأمرنا الحق بالتعارف؟ ألم يَحُثُّ على ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟!
ألم يُثْنِي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على الذين يَأْلَفُون و يُأْلَفُون؟!
أليس تبسمي في وجه أخي صدقة؟! ماذا في دعائي لأخي بأن يتقبل اللّهُ صلاتَه ، بعد الصلاة؟!
إذا كانت النيَّة في المُصافحة هِيَ تأليف القلوب ، والدعاء بأن يتقبل اللّه الصلاة ، والصدقة بالتبسم في وجه أخي ، وأن تتساقط ذنوبنا في التصافح . . فماذا في ذلك؟!
أليس إشاعة الألفة أمرٌ محمودٌ في الدين ؟!
ألم يأمرنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بأن نَتَحَابَّ في اللّه ، ودَلَّنَا على ذلك بإفشاء السلام بيننا؟!
هل ردود الأفعال السابقة تُورث هذا الحُبّ أم تُورث البُغْض ..؟!!

حدث ذات مرة أن كنت راجعاً إلى البيت ليلاً في وسيلة مواصلات ، وكان معي بعضٌ مِن المأكولات "*كعب الغزال*" فتَبَسَّمتُ في وجه مَن كان عَن يميني (شَابٌ مِثلي) وعَن يَسَاري (شيخ أزهري) وأعطيتهما مِنه بعد إلحاح ، فما كان من الشاب الجالس عَن يميني إلا أن فاتحني الحديث بعد قليل وقال: (لقد استرحت إليك وأريد أن أتعرف عليك) فكان التعارف بيننا..!! بعد أسبوعين ، فوجئت به يطلبني في البيت لأنَّه سيسافر إلى أهله في اليَمَن ويريد أن يراني قبل السفر ، فاتفقنا أن نصلي العشاء سوياً في مسجد مصطفى محمود ..!!

هذا ما يَتْرُكُهُ بَسْطُ الوجه والتَبَسُّم مِن أثر في قلوب الناس . .

صيغة التكبير يوم العيد:
كُلُّ عيد لابد أن يَختلف المُصَلُّون في صيغة التكبير ، وليس في الاختلاف مُشكلة ، ولكن المشكلة هِيَ في هذا الصراخ الذي يعلو ،والغضب الذي يفور في النُّفوس ، حتى تحسب أنَّ الاشتباك بالأيدي على وشك الحدوث..!!

سبحان اللّه ، يأتي العيد ليجتمع المُسلمون وليشعر كُلٌّ مِنهم بعِزَّة هذا الجَمع ، وقوة هذا الدين ، ثُمَّ تأبى بعضُ النفوس المُتَحَفِّزَة إلا أن يشيع الغضب والفرقة ، ثُمَّ يُورث كُلّ هذا البغض في القلوب..!

إذا كُنَّا نتصارع في صيغة ذكر يوم العيد ، فكيف يُمكن أن نتفق بأي حال على أهداف مُشتركة ..؟!
أوَلَسْنَا رُحَمَاءُ بَيننا؟! . . هل تجد لهذه الرحمة أثر في أفعال هؤلاء ..؟!!
إنَّ الخلاف مكروه على كُلِّ حال ، وما تفرقت هذه الأمة إلا باختلافها على أمثال تلك الأمور وأكثر.

وقد روى الإمام الغزالي في كتابه عن كراهية الخلاف ، وأدب المخالفة بين الفقهاء فقال:
(والفقهاء المُجتهدون وإن اختلفت آراءهم يحترم بعضهم بعضاً ، ويحترم حريته في مُخالفته ، وقد رأينا مالك بن أنس يرفض حمل الناس على مذهبه في كتابه المُوطَّأ ويقول : إنَّ أصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار وقد يكون لديهم ما فاته.

وقد أنكر عبد الله بن مسعود إتمام الصلوات الرباعية أيام التشريق لَمَّا بلغه أنّ عثمان فعل ذلك ، وقد شُوهد ابن مسعود بعدها يُصلّي وراء عثمان مُتِمّاً فَلَمّا كُلِّمَ في صنيعه هذا قال أكره الخلاف . .!

وقد كان أحمد بن حنبل يرى أنَّ الحجامة تنقض الوضوء ، فسُئل عَمَّن رأى الإمام احْتَجَمَ وقام إلى الصلاة ولم يتوضأ ، هل يصلي الإمام خلفه؟ فقال رضي الله عنه : كيف لا أصلّي خلف مالك وسعيد بن المسيب؟!

وكان أبو حنيفة وأصحابه يرون انتقاض الوضوء من خروج الدم ، ولكن أبا يوسف رأى هارون الرشيد احتجم وصلى ولم يتوضأ – لأنَّ مالكاً أفتى الخليفة بأن لا وضوء عليه إذا هو احتجم – فصلى أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة.

ورووا أنَّ الشافعي ترك القنوت في صلاة الصبح لَمَّا صَلَّى مع جماعة الأحناف في أحد مساجد بغداد وذلك رعايةً لأدب الإسلام ، ورغبةً عن الخلاف . .)

إنَّ الإمام الغزالي في نهاية كتابه – بعدما عرض لألوان ونماذج مُخزية في تاريخنا – يوصينا بقوله :
(**نهيب بالشباب المُسلم أن يكون يَقظاً ، وبالمُوجهين المُسلمين أن يضبطوا كلماتهم وأحكامهم فلا يُعطوا العدو فرصة للوثوب من خلالها . .**
احذروا مَن يُجسِّم الشكل وينسى الموضوع . .
احذروا مَن يُثير الفرقة ولا يُبالي بالجماعة . .
احذروا من يصعد بالفروع إلى الأصول ، أو يهبط بالأصول إلى الفروع . .
احذروا من يبسُط لسانه فينا ، ولا يقول كلمةً في أعدائنا . .)

الآن أختم بأسلوب القرآن في أرقى الحوارات في العقيدة ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، لنرَى أيُّ حوار يكون إذاً بين أهل الحق ، و بعضهم البعض : (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؟!..قُلِ اللّهُ ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ. قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ. قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ .. كَلا ، بَلْ هُوَ اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [سبأ – ٢٤-٢٧]

Habit 5: Think Win-Win (*Balance Relations & Goals*) التوازن بين العلاقات والإنتاج (اربَحْ وربِّحْ)

بعد أن ننصت إلى الآخرين كما عَلِمْنا من قبل إنصاتاً حقيقياً يرجو العلم والفهم ، تأتي ردود أفعالنا لهذا العلم ، وهذا والفهم.

هذه العادة تتكلم عن العلاقات بين البشر وأنواعها ، وكيفية تحقيق التوازن في هذه العلاقات بين الأهداف الشخصية جنباً إلى أهداف الآخرين في سياج من العدل يحمي الحقوق للجميع.

في نطاق هذه العادة فإنَّه على الناس في علاقاتهم ، بعد أن يفهم كلٌ منهم ما يريده الطرف الآخر ، أن يُحاولوا الوصول إلى أنفع الوسائل وأعدلها لتحقيق أهداف كل طرف. وإذا وُجد أنَّ هناك تضارباً في المصالح بحيث يكون هناك حَقٌ مهضوم ، أو واجبٌ مَنْسِيّ ، فإنَّ عليهم أن يُحاولوا الوصول إلى حَلٍ وسط يُرضي الجميع. وفي حالة عدم الاتفاق على هذا الحل الوسط تكون هذه العلاقة مهددة بالفشل..!

Quotes:
"Win-Win is a belief in the third alternative. It's not your way or my way: it's a better way".
*"Effective long-term relationships require **mutual** benefit".*
"I seek the benefit of others as well as mine".
"I get better results in my relationships by cooperating interdependently than by competing independently". – Stephan Covey

Win-Win Character

Win-Win relationships come from believing in the third alternative and from willingly abandoning selfish positions to look for it. People who don't trust each other don't create win-win agreements. Trust comes from repeated deposits in the Emotional Bank Account. When trust is high, win-win agreements naturally follow. But when withdrawals from the Emotional Bank Account are high that trust is lost and so is the win- win agreement.

A win-win person possesses three character traits: *Integrity*, *Maturity* & *Abundance Mentality*. Trustworthiness flows out of these character traits.

Integrity **(النزاهة)**
People of Integrity are true to their feelings, values and commitments

Maturity **(الرشد)**
Mature people express their ideas and feelings with courage and with consideration for the ideas and feelings of others.

Abundance Mentality **(عقلية الوفرة)**
People with an Abundance Mentality believe that there is plenty for everyone.

عند مناقشة المبادئ الرئيسية مِن قبل ، تَمَّ تناول مبدأ التوازن بين الإنتاج والقدرة على الإنتاج ، وفي رأيي أنَّ هذه العادة هِيَ تطبيق لهذا المبدأ على نطاق أكبر من العلاقات الإنسانية . .
والخُلاصة من هذا المبدأ وهذه العادة أنَّ **الإنسان الناجح هو الذي يستطيع أن يوازن بين : الأهداف القريبة والأهداف البعيدة ، مطالب الآخرين وحقوق نفسه ، العلاقات مع الآخرين و إنتاجه الشخصي**.

الناس تنحصر علاقاتُهم في أربعة أنواع أساسية:

١ - أنا أربح وأنت تخسر . ***Win-Lose***

هذا النوع مِن النَّاس تتنازعه رذائل من الأَثَرَة والأنانيِّة في تعامُلِهِ مع غيره ، وقد يكون هناك جانب من الأمراض النفسية الأخرى كالحقد ، والحسد ، وكراهية الخير للنَّاس ، والشعور بالنقص. وهذه لها علاجٌ طويلٌ في ديننا أسرده بعد قليل.
أمثال هؤلاء دائماً لا يعبأون بأهداف الآخرين وإنما يسعون فقط لتحقيق أهدافهم الشخصية ، ولتذهب مشاعر الناس وطموحاتهم إلى الجحيم ، وليعيشوا في بُؤسٍ وشقاء ، طالما هُم في سعادة ونعيم. ألا إنَّ هؤلاء كثير..!!
من أمثلة تلك العلاقات:
الزوج الذي يُصَمِّم على رأيٍ له يُمليه على زوجته بغير إقناع أو حوار ، بَحيث يكون هذا الرأي مُعتَرَضاً عليه مِن قِبَل الزوجة ، مُجْحِفاً لها في حقوقها. الزوج هنا يُمارس نوعاً من التَّسَلُّط لأنَّ المسكين قد لم يجد غير هذه الزوجة الضعيفة ليتسلط عليها. إنَّ وجود قدر مثقال ذَرَّة مِن هذه الفرعنة وهذا الكِبْر في قلب أيِّ إنسان لَهُوَ كفيلٌ بأن يقذفه في النار..

٢ - أنا أخسر وأنت تربح ***Lose-Win***

هذا النَّوعٌ مِن الناس غالباً ما يُوجد في نفسه مِن الضعف ما يَسمح له بتحقيق أهداف الآخرين على حساب أهدافه الشخصية.
وقد يكون هذا الضعف مِن سبيل حُبِّ الخير للنَّاس بطريقة لا تلتزم الحق العادل الواجب لله والأهل والنفس كما نُصَّ عليه في الأثر. كما أنَّه قد يكون أيضاً مِن سبيل الخوف على ما في يد الإنسان من حُطام الدنيا الزائل ، فكثيرٌ يَرْضَى بالذُلّ والهَوَان وامتهان الكرامة حتّى يُحافِظ على ما تحت يديه مِن نِعَم لا يعلم أنَّه مُبتلىً بها . .!

وقد تكون هناك مظاهر أُخرى من التضحية مِن الإنسان وقبول ما لا يرضاه وذلك في سبيل المُحافظة على مَن هو أضعف مِنه ورعايةً له. وذلك مِن مِثاله الزوجة في المِثالِ السابق. فهي هنا تقبل امتهان كرامتها واحترامها وتُرضي زوجها حتّى عندما يُخطئ ويَظلم لأنَّ مِنهُنّ مَن تخاف على أولادها الضياع والتشرد ، وهناك نوايا أخرى ، ليس هذا مجال ذكرها.

الأصل أنَّ **التضحية يجب أن تكون في سبيل تحقيق أهداف مُشتركة وليست في سبيل تحقيق أهداف الآخرين فقط**. فالزوجة المُضَحِّيَة في المِثال السابق ، إذا كان الحفاظ على استقرار البيت ومراعاة مصالح الأولاد والصبر على زوجها أمام الله هُو الدافع لهذه التضحية فلا بأس عليها ، إن أرادت ذلك ، ولها الأجر ، ولكن يجب أن تُعْلِم زوجها بذلك وتنصحه بما لها عليه مِن معروف كما له عليها من معروفٍ تقومُ به ، حتّى لا يتمادى في ظُلمه لها ، وعسى أن يعود إلى رشده. فمِن النساء مَن تعتبر زوجها في مَقام الابن العاقّ الذي تُحِبُّهُ كَوَلَدِهَا وترجو له الصلاح ، ولكن هذا مَقامٌ آخر ولا يُكَلِّفُ اللّه نفساً إلا وُسعها .. أمَّا أن يتحول الأمر – بعد نفاذ الصبر – إلى تراشق الاتهامات والمَنّ بمَن كَانَ مِنْه الصبر والتضحية فلن يُجدي ذلك إلا مزيد ظلم وامتهان للكرامة لِكِلا الطرفين ..كلا.. لم تكن التضحية مِن قبل إلا لهدفٍ مُشترك ، إن جَهِلَهُ الزوج فالزوجة تَعْلَمُهُ ، وإن جَهِلَتْهُ الزوجة فالزوج يَعْلَمُهُ ، ولهذا فلا يَمُنُّ أحدهما على الآخر . (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ومَغْفِرَةٌ خَيرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى)[البقرة - ٢٦٣]. موضوع العلاقات الزوجية يحتاج إلى تفصيل كثير لا أريد أن أتطرق إليه ، ولكن في مقالات الأستاذ عبد الوهاب مطاوع في بريد الجمعة حكمة كبيرة لمَن يُتابعُها.

المهم أننا هنا نلاحظ أنَّ **تحقيق الهدف المُشترك قد يكون في ظاهره خسارة لأحد الأطراف**.
فمَثَلاً صاحب العمل الذي يجد مَن يعمل لديه بأكثر من ١٥ ساعة يومياً..ماذا يكون موقفه منه؟!
طبعاً هذا العامل يُعَدُّ شخصاً مُنتجاً ، وقد يُحقق إنتاج ثلاثة أشخاص يومياً ، والذين في قلوبهم طمع واستغلال وظلم من أصحاب الأعمال لا يأمرونه بالذهاب إلى بيته بعد انتهاء وقت العمل..!

هل هذا العامل يُعَدُّ إنساناً ناجحاً ..؟!
ماذا عن علاقته بأهله؟! ماذا عن علاقته بأولاده ؟! ماذا عن علاقته بذوي رحمه؟!
هل جهازه العصبي يتحمل المواصلة على هذا المستوى من العمل؟!
هل جسده يتحمل هذا الجهد اليومي بدون أي ترويح رياضي؟!
الذين عندهم أمانة من أصحاب الأعمال يأمرون أمثال هؤلاء بما نصح به سلمان الفارسي أخاه أبو الدرداء (إن لربك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، فأعط كُلَّ ذي حقٍ حقه). فمع أنَّ ظاهر الأمر خسارة لصاحب العمل ، إلا أننا هكذا أُمرنا بالعدل .. أُمِرْنَا أن نطلب النجاح للآخرين كما نطلبه لأنفسنا ، وأُمِرْنَا ألا نُحَطِّم الآخرين في سبيل تحقيق أهدافنا..

و هناك أيضاً دوافع أُخرى لهذا النوع مِن العلاقات غير الضعف و التضحية ، فهناك طبعاً أبواب من المجاملات المحمودة و غير المحمودة ، ورجاء المصلحة القريبة أو البعيدة ، وهنا قد تدخل ، في غير المحمود مِن ذلك ، أبوابٌ مِن النفاق والشرك التي تستوجب المقت والغضب من رب العالمين.
وموضوع النفاق هذا قد تَمَّ تناوله عند الحديث عن العادة الثانية ، عندما تكلمنا عن إخلاص العمل لله ، وصدق النية إليه فيما نُقبل عليه من أعمال.

على العموم ، الإنسان الذي لا يحترم أنَّني إنسان جاد لي طُمُوحاتي وأهدافي ولا يحترم وقتي لا يُعدُّ صديقاً حقيقياً. ولقد عَلَّمَنَا القرآن مراعاة أهداف الآخرين ، وطُمُوحاتهم ، وأوقاتهم في آداب الاستئذان عليهم ، ومِن ذلك: (وإِذَا قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُم) [النور - ٢٨]
وقبلها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيرَ بُيُوتِكِم حتّى تَسْتَأنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلَى أهْلِهَا ، ذَلِكُم خَيرٌ لَكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُون)[النور - ٢٧]

إنَّ مِن الأفضل أن يكون سُلُوكنا متوافقاً مع سلوك الآخرين فيما يكفل الحق للجميع ، أمَّا إذا لم يتوافق سلوك الآخرين معنا ، وكان سلوكهم هذا منحرفاً عن الحق ، زائغاً عن الصواب ، فيجب أن يتِمَّ تحذيرُهم ونصيحتهم بالحُسنى أن يُغَيِّرُوا مِن هذا السلوك لما يكفل الحقوق لنا ولهم ، وتلك النصيحة والموعظة الحسنة تكون إلى أجلٍ مُسَمَّى ، نتسلح خلالها بالصبر على الآخرين ، وبرجاء عودة الرشد لهم ، وبدافعٍ من البرّ إليهم. فإذا لم يُجدي كُلُّ ذلك فما علينا مِن حرج إن قطعنا بعضاً مِن هذه العلاقات الفاشلة ، وفي ذلك تتفاوت عزائم البشر . . ولنا في سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم أسوةٌ حسنةٌ حيث تكرر استغفاره لأبيه كثيراً ، ودعوته له إلى الحق ، ولكن : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبيهِ إلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌ للّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. إنَّ إبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة - ١١٤]..لنلاحظ ، قبل اتباع ذلك ، صيغة المُبالغة في الحلم التي وُصف بها سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك من صبره على الأذى ، ورقة قلبه ، ورحمته بعباد الله.

٣ - أنا أخسر وأنت تخسر *Lose-Lose*

هؤلاء هُمُ السفهاء في كُلِّ زمان. ليس لأحدهم هدف حقيقي يسعى إليه ، وهو مع ذلك يعوق الآخرين دون تحقيق أهدافهم ، بل لا يستحيي أن يُساهم في تدميرها حتّى يُصبح الجميع مِثله بلا إنجاز..!
هؤلاء هُم المُثبِّطُون ، أعداء النّجاح ، مُتصيدي العثرات والسقطات ليجعلوا منها الخطيئة التي لا تُغتفر ، والذنب الذي لا يقبلون فيه استرحام عزيز ، أو شفاعة قريب.
هم لا يقضون أوقاتهم مَشغولين بما في أنفسهم مِن عيوبٍ يعملون على إصلاحها ، أو بما ليس عندهم من نِعمٍ يتوكلون على الله حق التوكل لنَيْلِهَا. ولَكِنَّهم يجعلون عيوب النّاس شُغلهم الشاغل ، وتصيد مواطن زللهم كُلَّ ما يرجونه من آمال. حتّى يبنون لأنفسهم الشهرة والصيت على حساب هفوات العُظماء ، وزلات العلماء ..ألا ساء ما يعملون.
هم يَظنون أنفسهم يربحون بتحقيق الخسارة للآخرين وما يعلمون أنَّ خُسارتهم أفدح ، وأنَّ جهلهم أنكى. ما أشبه هؤلاء بإخوانهم مِن قَبْل (الصنف الأول).

في هؤلاء قال الإمام الشافعيّ : (**إنِّي لأمقت الرجل ، لا ينشغل بأمر دنيا ولا دين**)..!!

ولقد نصح هؤلاء الدكتور طارق السويدان ببيتٍ من الشعر وقال:

وكُنْ رَجُلاً إن أتَوا بَعْدَهُ يقولون مَرَّ وهذا الأثر

٤ - أنا أربح وأنت تربح *Win-Win*
هؤلاء هُمُ الذين يُحققون التوازن المَذكور مِن قبل . .

نعود الآن إلى معالجة العيوب النفسية التي تعوق دون تحقيق الربح المُشترك في كُلِّ العلاقات لجميع الأطراف. وهِيَ التي تمثلت مِن قبل في رذائل الأثرة والأنانية والحقد والحسد والشعور بالنقص . .

أرى أنَّ الحضارة الغربية قد نجحت نجاحاً لا بأس به في تشخيص الأمراض ، ولَكِنَّها ما استطاعت أن تضع العلاج الشافي لها ، والدواء الذي لا سَقَمَ بعده. فأنا أذكر أنه أثناء دورة العادات السبع ، كانت هناك صعوبة في إقناع أحد الزملاء بأنَّ هذه العادة ، وما تسعى إليه مِن تحقيق الربح المشترك ، هِيَ خيرٌ له مما كان يقوله عن نفسه. فقد كان يُؤمن بمبدأ (أنا أربح ، ولا أُبَالي بالآخرين إن ربحوا أم خسروا) ، وكان يُؤمن بأنَّ وقته أثْمَن مِن أن يُضَيِّعَهُ في مساعدة زميل أو صديق أو إرشاده إلى كيفية أدائه عمله على وجهٍ متقن. وطبعاً نزعة التنافس لتحقيق الإنجاز الشخصي ، والخوف من سَبْق الآخرين له ، كانت واضحة في كلامه ، فَهُوَ لم يُرد استبدال ذلك بالتعاون وتبادل المنفعة ، وهذا موضوع العادة القادمة بإذن الله.

على العموم ، كان لابد من استحضار معانٍ وقيمٍ إيمانية وغيبية لإقناع صاحبنا. وهذا مما لم يتطرق إليه موضوع العادات السبع في أصله الغربي. ولكن نحن المُسلمون نعلم أنَّ **هذه الحياة لا يُمكن أن يحياها الإنسان حياة آمنة مُطمئنَّة وهو لا يُؤمن بالغيب**. وهذا أوَّلُ ما وصفنا به الحق سبحانه وتعالى في سورة البقرة. ومهما حاول الغرب أن يستبدل ذلك بمعانٍ ومبادئ لا ترتبط بالغيب فَسَعْيُهُ ضال ، وعاقبته لا خَيْرَ فيها. وبإذن الله سوف أُحاول قدر استطاعتي إظهار ما قَصَّر فيه التناول الغربي لموضوع العادات السبع بعد انتهاء الكتابة وبداية التعليق عليها..

لمعالجة رذائل النفس التي تعوق تحقيق هذه العادة فإنَّ في ديننا الكثير ، ولكن اسمحوا لي أن أختار أيضا مِن مؤلفات الإمام الغزالي رحمه الله..

أورد الإمام الغزالي بحثاً عن (**سلامة الصدر من الأحقاد**) في كتابه (**خلق المسلم**) ، عرض فيه لآفات الحقد والفجور في الخصومة وتتبع العورات والغيبة والنميمة والحسد ، ثم وضح مكان ذلك من البغض في الله ، ومقاطعة المجترئين على حدوده في نهاية البحث ، فقال :
(ليس أروح للمرء ، ولا أطرد لهمومه ، ولا أقر لعينه مِن أن يعيش سليم القلب ، مُبَرَّأً من وساوس الضغينة ، وثوران الأحقاد. إذا رأى نعمة تُساق إلى أحدٍ رضي بها ، وأحسَّ فضل الله فيها ، وفقر عباده إليها ، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر) [أبو داود] ، وإذا رأى أذىً يلحقُ أحداً من خلق الله رثى له ، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه.
وبذلك يحيا المُسلم ناصع الصفحة ، راضياً عن الله وعن الحياة ، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى ، فإنَّ فساد القلب بالضغائن داءٌ عياء ، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش كما يتسرب السائل من الإناء المَثْلُوم.

ونظرة الإسلام إلى القلب نظرة خطيرة ، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويُعَكِّر صفوها. أمَّا القلب المُشرق فإنَّ الله يبارك في قليله. وهو إليه بكل خير أسرع:
عن عبد الله بن عمرو : (قيل : يا رسول الله ، أيُّ النَّاس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب صدوق اللسان . قيل : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : هُوَ التَّقِيّ النَّقِي ، لا إثم فيه ولا بَغْي ، ولا غِلَّ ولا حَسَد) [ابن ماجه]

ومِن ثَمَّ كانت الجماعة المسلمة حقاً هِيَ التي تقوم على عواطف الحب المشترك ، والود الشائع ، والتعاون المتبادل ، والمُجاملة الرقيقة ، لا مكان فيها للفردية المتسلطة الكنود ، بل هِيَ كما وصف القرآن: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ، ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر - ١٠]

إنَّ الخصومة إذا نمت وغارت جذورها ، وتفرعت أشواكها ، شلت زهرات الإيمان الغض ، وأذْوَت ما يُوحي به من حنان الإسلام. وعندئذٍ لا يكون في أداء العبادات المفروضة خير ، ولا تستفيد النفس منها عصمة.

وكثيراً ما تطيش الخصومة بألباب ذويها ، فتدلي بهم إلى اقتراف الصغائر المسقطة للمروءة ، والكبائر الموجبة للعنة. وعين السخط تنظر من زاوية داكنة ، فهي تعمى عن الفضائل ، وتُضخِّم الرذائل ، وقد يذهب بها الحقد إلى التخيل وافتراض الأكاذيب ، وذلك كله مما يسخطه الإسلام ويُحاذر وقوعه ويرى منعه أفضل القُرُبات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى ! قال : **إصلاح ذات البين** ، فإنَّ فساد ذات البين هو الحالقة ؛ لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين) [الترمذي]

ربما عجز الشيطان أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم ولكنه – وهو الحريص على إغراء الإنسان وإيراده المهالك – لن يعجز عن المُباعدة بينه وبين ربه ، حتّى يجهل حقوقه أشدَّ مما يجهلها الوثني المخرف ، وهو يحتال لذلك بإيقاد نيران العداوة في القلوب ، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها وهِيَ تحرق حاضر الناس ومُستقبلهم ، وتلتهم علائقهم وفضائلهم :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الشيطان قد يئس أن يعبده المُصَلُّون في جزيرة العرب ، واكنه لم ييأس من التحريش بينهم) [مسلم]

ذلك أنَّ الشر إذا تمكن من الأفئدة فتنافر ودها ، وانكسرت زجاجتها ، ارتد الناس إلى حالٍ من القسوة والعناد ، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يُوصل ويُفسدون في الأرض. وقد تيقظ الإسلام لبوادر الجفاء ، فلاحقها بالعلاج ، قبل أن تستفحل وتستحيل إلى عداوة فاجرة ، والمعروف أن البشر متفاوتون في أمزجتهم وأفهامهم ، وأنّ التقاءهم في ميادين الحياة قد يتولد عنه ضيق وانحراف ، إن لم يكن صدام وتباعد . ولذلك شرع الإسلام من المبادئ ما يرد عن المُسلمين عوادي الانقسام والفتنة ، وما يمسك قلوبهم على مشاعر الولاء والمودة ، فنهى عن التقاطع و التدابر.
نعم قد يحدث أن تشعر بإساءة مُوجَّهة إليك ، فتحزن لها وتضيق بها ، وتعزم على قطع صاحبها. ولكنَّ الله لا يرضى أن تنتهي الصلة بين مسلم ومسلم إلى هذا المصير.
قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (لا تقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) [البخاري] ، وفي رواية (لا يحق لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث. فإن مرت به ثلاث فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عليه. فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم ، وخَرَجَ المُسَلِّمُ من الهجرة) [أبو داود]
وهذا التوقيت فترة تهدأ فيها الحدة ويسكن فيها الغضب. ثُمَّ يكون لزاماً على المسلم بعده أن يواصل إخوانه ، وأن يعود معهم سيرته الأولى. كأنَّ القطيعة غَيْمَة ، ما إن اجتمعت حتى هبت عليها الريح فبددتها ، وصفا الأفق بعد عبوس.

والإنسان في كل نزاع ينشب ، أحدُ رجلين : إما أن يكون ظالماً ، وإما أن يكون مظلوماً. فإن كان عادياً على غيره ، ناقصاً لحقه ، فينبغي أن يُقلع عن غَيِّهِ وأن يُصلح سيرته. وليعلم أنه لن يستل الضغينة من قلب خصمه ، إلا إذا عاد عليه بما يُطمئنه ويُرضيه. وقد أمر الإسلام المرء – والحالة هذه – أن يستصلح صاحبه ويُطِيبُ خاطره. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شئٍ فليتحلله من اليوم ، من قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عملٌ صالح أُخِذَ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه) [البخاري]

ذلك نُصْحُ الإسلام لِمَن عليه الحق. أما من له الحق فقد رغب إليه أن يلين ويسمح . وأن يمسح أخطاء الأمس بقبول المعذرة ، عندما يجئ له أخوه معتذرا ومستغفرا ، ورَفْضُ الاعتذار خطأ كبير.
وفي الحديث : (من اعتذر إلى أخيه المُسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب مُكْس) [ابن ماجه ، والمُكْس : نوع خبيث من نهب المال] ، وفي رواية : (من تُنُصِّلَ إليه فلم يقبل ، لم يرد على الحوض) [الطبراني]

وبهذا الإرشاد المبين للطرفين جميعاً يُحارب الإسلام الأحقاد ، ويقتل جرثومتها في المهد ، ويرتقي بالمجتمع المؤمن إلى مستوىً رفيع ، من الصداقات المتبادلة ، أو المُعاملات العادلة.

وقد اعتبر الإسلام من دلائل الصَغَار وخِسَّة الطبيعة ، أن يرسب الغل في أعماق النفس فلا يخرج منها ، بل يظل يموج في جوانبها كما يموج البركان المكتوم.

وكثير من أولئك الذين يحتبسون الغل في أفئدتهم ، يتلمسون متنفساً له في وجوه مـن يقـع معهم فلا يستريحون إلا أرغوا وأزبدوا ، وآذوا وأفسدوا :

رُوى عن ابن عباس أنَّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أُنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله. قال : إنَّ شراركم الذي ينزل وحده ، ويجلد عبده ، ويمنع رفده. أفلا أُنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله. قال : من يبغض الناس ويبغضونه. أفلا أُنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله. قال : الذين لا يُقيلون عثرة ، ولا يقبلون معذرة ، ولا يغفرون ذنباً. أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال :من لا يُرْجى خيرُهُ ولا يُؤْمَنُ شرُّهُ) [الطبراني]

والأصناف التي أحصاها الحديث ، أمثلة لأطوار الحقد عندما تتضاعف علته وتفتضح سوأته. ولا غرو فمن قديمٍ أحسَّ الناس ، حتى في جاهليتهم ، أن الحقد صفة الطبقات الدنيا من الخلق ، وأنَّ ذوي المروءات يتنزهون عنه . قال عنترة :

لا يَحْمِلُ الحِقْدَ مَن تَعْلو بهِ الرُّتَبُ ولا يَنالُ العُلا مَن طَبْعُهُ الغضبُ

وهناك رذائل رهب الإسلام منها ، وليس يفوت النظر القريب أن تعرف مصدرها الدفين.
إنها على اختلاف مظاهرها تعود إلى علة واحدة ، هِيَ الحقد..

فالافتراء على الأبرياء جريمة ، يدفع إليها الكره الشديد. ولما كان أثرها شديداً في تشويه الحقائق ، وجرح المستورين ، عدها الإسلام من أقبح الزور.
روت عائشة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : (أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنَّ أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئٍ مسلم. ثم قرأ رسول الله : (والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ بغير مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وإثْماً مُبيناً) [الأحزاب – ٥٨]) [أبو يعلى]

ولا شك أن تلمس العيوب للناس ، وإلصاقها بهم عن تعمد يدل على خبث ودناءة ، وقد رتب الإسلام عقوبات عاجلة لبعض جرائم الافتراء. وما بُيِّت في الآخرة لصنوف الافتراء أشد وأنكى.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ذكر امرأً بشيءٍ ليس فيه ، ليعيبه به ، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه) [الطبراني] ، وفي رواية : (أيما رجلٍ أشاع على رجل مسلم كلمة ، وهو منها برئ ، يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار ، حتى يأتي بنفاذ ما قال)
وما دام الذي قاله بهتاناً فكيف يستطيع أن يثبت عند الله باطلاً؟ وكيف يتنصل من تبعته؟

إنَّ سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس ، إن عجز عن سوقه إليهم بيده. أما الذي لا يجد بالناس شراً فينتحله لهم انتحالاً ، ويزوره عليهم تزويراً فهو أفاكٌ صفيق.

قال الله عز وجل : (إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ واللّهُ يَعْلَمُ وأَنْتُم لا تَعْلَمُونَ) [النور – ١٩]

ومن فضل الله على العباد أنه استحب ستر عيوب الخلق ، ولو صدق اتصافهم بها ، وما يجوز لمسلم أن يتشفى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه ، فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ، ويشتهي لهم العافية ، أما التلهي بسرد الفضائح ، وكشف الستور ، وإبداء العورات ، فليس مسلك المسلم الحق.

ومن ثم حرم الإسلام **الغيبة** ، إذ هِيَ متنفس حقد مكظوم ، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء.
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم! قال : ذكرك أخاك بما يكره. قيل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول..! قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتّه) [مسلم]

ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المَوَدَّات ، واتقاء الفرقة : تحريم **النميمة** ، لأنها ذريعة إلى تكدير الصفو تغيير القلوب. وقد كان النبيُّ ينهى أن يُبَلَّغ عن أصحابه ما يسوءه ،قال : (لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) [أبو داود]

وعلى من سمع شيئاً من ذلك ألا يوسع الخرق على الراقع. فرُبَّ كلمة شرٍ تموت مكانها لو تُركت حيث قيلت، وربَّ كلمة شر سعَّرَتِ الحروب ، لأنَّ غراً نقلها ونفخ فيها ، فأصبحت شرارة تنتقل بالويلات والخطوب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجَنَّة نَمَّام) [البخاري] ، وفي رواية (قَتَّات). قال العلماء : هما بمعنىً واحد. وقيل النَمَّام : الذي يكون مع جماعةٍ يتحدثون فينقل عنهم ، والقَتَّات: الذي يستمع عليهم من حيث لا يشعرون ، ثُمَّ يَنُم.
ورُوِى في الحديث : (إنَّ النميمة والحقد في النار ، لا يجتمعان في قلب مسلم) [الطبراني]

ومن لوازم الحقد سوء الظن ، وتتبع العورات ، واللمز ، وتعيير الناس بعاهاتهم ، أو خصائصهم البدنية والنفسية. وقد كره الإسلام ذلك كرهاً شديداً.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَن علم من أخيه سيئة فسترها ، ستر الله عليه يوم القيامة) [الطبراني] ، وقال : (من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤدة) [الطبراني]
وكثيراً ما يكون متتبعة العورات لفضحها أشد إجراماً ، وأبعد عن الله قلوباً من أصحاب السيئات المنكشفة. فإنَّ التربص بالجريمة لشهرها أقبح من وقوع الجريمة نفسها.
وشتان بين شعورين : شعور الغيرة على حرمات الله والرغبة في حمايتها ، وشعور البغضاء لعباد الله والرغبة في إذلالهم.

وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس ، ذلك أنه ربما تخلف حيث سبق آخرون. فمن الغباء أو الوَضَاعة أن تلتوي الأثرة بالمرء فتجعله يتمنَّى الخسارة لكل إنسان ، لا لشيءٍ ، إلا لأنه هو لم يربح !!.
ثُمَّ إنَّ المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة ، وأكرم عاطفة ، فينظر إلى الأمور من خلال الصالح العام ، لا من خلال شهواته الخاصة. وجمهور الحاقدين ، تغلي مراجل الحقد في أنفسهم لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم ، وامتلأت به أكفٌ أخرى. وهذه هِيَ الطامة التي لا تدع لهم قراراً !!.

وقديماً رأى إبليس أنَّ الحظوة التي يتشهَّاها قد ذهبت إلى آدم ، فآلى ألا يترك أحداً يستمتع بها بعد ما حُرمها. (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُم صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بَينِ أيديهم ومِن خَلْفِهِم وعَن أيْمَانِهِم وعَن شَمَائِلِهِم ولا تَجِدُ أكْثَرَهُم شَاكِرِين) [الأعراف – ١٦،١٧]
هذا الغليان الشيطاني هو الذي يضطرم في نفوس الحاقدين ويُفسد قلوبهم. وقد أهاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المنكر ، وأن يسلكوا في الحياة نهجاً أرقى وأهدأ.

عن أنس بن مالك قال : (كُنَّا جلوساً عند النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال (يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة) فطلع رجلٌ من الأنصار ، تنطف لحيته من وضوئه ، قد عَلَّقَ نعليه بيد الشمال. فلما كان الغد قال النبيُّ مثل ذلك. فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث قال النبيُّ مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى.
فلما قام النبيُّ ، تبعه عبد الله بن عمرو – تبع الرجل – فقال : إنِّي لاحيت (خاصمت) أبي ، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً. فإن رأيت أن تُؤويني إليك حتى تمضي فعلت! ، قال :نعم.

قال أنس : فكان عبد الله يُحَدِّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غيرَ أنَّه إذا تعارَّ – تقلب في فراشه – ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر. قال عبد الله : غير أنِّي لم أسمعه يقول إلا خيراً.
فلما مضت الليالي الثلاث وكدتُ أحتقر عملَه. قلت يا عبد الله : لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله يقول لك – ثلاث مرات – : يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة ، فطلعت أنت الثلاث المَرَّات فأردت أم آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك ، فلم أرك عملت كبير عمل !! فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال : ما هو إلا ما رأيت. قال عبد الله : فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك !!) [أحمد]
وفي رواية (ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي ، إلا أني لم أبت ضاغناً على مسلم) [البزار]

وقد حرم الإسلام **الحسد** ، وأمر الله رسوله أن يستعيذ من شرور الحاسدين لأنَّ الحسد جمرة تتقد في الصدر فتؤذي صاحبها وتؤذي الناس به.
والشخص الذي يتمنّى زوال النعم آفة تحذر غوائلها على المجتمع ، ولا يُطمأنَّ إلى ضميره في عمل.
وقد قال رسول الله : (لا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفَيح جهنم. ولا يجتمع في جوف عبدٍ الإيمان والحسد) [البيهقي] ، وقال : (إيّاكم والحسد ، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) [أبو داود]

والرجل الذي يكره المُنْعَم عليهم ، ويودُّ لو يمسون محرومين ويصبحون ضائعين ، رجلٌ ضللته عن حقيقة الحياة ظلماتٌ شتى. إنه أولاً محصور بالدنيا ومتاعها ، يقاتل عليه ويبكي وراءه ، ويتبع بالغيظ من نالوا نصيباً أضخم منه.

وهذا خطأ في تقدير الحياتين ، بل لعله جهلٌ أو ذهول عن الحياة الأخرى وما ينبغي لها من استعداد ، يجب أن يتأهب المرء له ، ويأسى لفواته.
قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُور وهُدَىً و رَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ. قُلْ بفَضْلِ اللهِ وبرَحْمَتِهِ فَبذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُو خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس –٥٧،٥٨]

ثم إنَّ الحاسد بعد ذلك شخصٌ واهن العزم ، كليل اليد ، جاهلٌ بربه وسنة كونه. ذلك أنه لما فاته الخير لأمر ما تحول بكيدٍ للناجحين!!

حَسَدُوا الفَتَى إذ لَم يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالكُلُّ أعْدَاءٌ لَهُ وخُصُومُ

وكان أجدى عليه أن يتحول إلى ربه ، يسأله من فضله. فإنَّ خزانته ليست حكراً على واحدٍ بعينه ثم يستأنف السعي في الحياة بعدئذ. فلعل ما عجز عنه في البداية يدركه ثانية. إنَّ هذا لا ريب أشرف من الضغينة على الآخرين.

والبون بعيدٌ بين الحسد والطموح ، وبين الحسد والغبطة ، وبين الحسد واستنكار العوج في الأوضاع والخلط في المنع والعطاء.. !
فالطموح رغبة في الرفعة وسعيٌ إليها. وذلك شأن الصالحين من عباد الله. قال سليمان : (رَبِّ اغْفِر لِي وهَب لِي مُلْكَاً لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِن بَعْدِي إنَّكَ أنْتَ الوَهَّاب) [ص –٣٥]. وقال عباد الرحمن : (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِن أزْوَاجنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أعْيُنٍ واجْعَلْنَا للمُتَّقِينَ إمَاماً) [الفرقان –٧٤]

والتطلع إلى فضل الله مع الأخذ في أسباب اكتسابه شئ غير كراهية فضل الله عندما ينزل بإنسان معين. والغبطة رغبة المرء في الحصول على نعمة مماثلة لما أكرم الله به الآخرين.

ولما كان تطلع الإنسان إلى غيره قد يكون فتحاً لأبواب الفتنة ، وتعلقاً بالمُنى الباطلة ، واشتهاءً لما يحسبه الشخص نافعاً له ، وهو في الحقيقة ضارٌ به ؛ أرشد الإسلام إلى ما ينبغي طلبه ، والتنافس فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا حسد إلا في اثنتين : رجلٌ آتاه الله مالاً فسلطه على هَلَكَتِهِ في الحق ، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلمها) [البخاري]
والحسد في الحديث تمنّي مثيل النعمة ، لا تمني زوالها .

والمقصود أن يكون المثل الأعلى الذي يستهدفه الإنسان جليلاً رائعاً ، فإنَّ من سقوط الهمة أن ترتبط الآمال بالتافه من الأحوال .. وهناك شؤون يُعتبر التشبث بطلبها عبثاً لا يورث إلا الحسرة. وقد ينتهي بالحقد على الناس ، لا لشئ إلا لأنَّ الله خصهم بمواهب فطرية ، أو بمنافع تقوم على هذه المواهب.
وفي هذه الشؤون وأمثالها يقول الله تعالى : (وَلا تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ بِهِ بَعْضَكُم عَلَى بَعْضٍ. للرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وللنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْن ، واسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ إنَّ اللهَ كَانَ بكُلِّ شَئٍ عَلِيماً) [النساء –٣٢]

وأما استنكار العوج في الأوضاع فهو إقرار العدالة الواجبة وليس من قبيل الحسد المذموم. فإذا غضبنا لأنَّ هذا أخذ الكثير على جهدٍ قليل ، أو رُفِعَ إلى درجة لا ترشحه لها كفايته ، فهذا الغضب مفهوم ومحمود ، وهو ضرب من رعاية المصالح الهامة ، لا صلة للحقد الشخصي به.

إنَّ الإسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين ليغسلها من أدران الحقد الرخيص ، وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو الحياة.
في كل يوم ، وفي كل أسبوع ، وفي كل عام تمر النفوس من آداب الإسلام في مصفاة تحجز الأكدار ، وتنقي العيوب ، ولا تبقي في الأفئدة المؤمنة أثارة من ضغينة.
أمَّا في كل يوم : فقد أوضح الإسلام أنَّ الصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلب للناس ، وفراغه من الغش والخصومات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً : رجلٌ أمَّ قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان (متقاطعان)) [ابن ماجه]

وأمَّا في كل أسبوع : فإنَّ هناك إحصاء لما يعمله المسلم ، ينظر الله فيه ليحاكم المرء إلى ما قدمت يداه ، وأسره ضميره. فإن كان سليم الصدر نجا من العثار ، وإن كان ملوثاً بمِآثم الغضب والحسد والسخط ، تأخر في المضمار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس ، فيغفر الله عز وجل في ذلك لكل امرئٍ لا يُشرك بالله شيئاً ، إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شَحْنَاء. فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا) [مسلم]

وأمَّا في كل عام : فبعد تراخي الليالي وامتداد الأيام ، لا ينبغي أن يبقى المسلم حبيساً في سجن العداوة ، مغلولاً في قيود البغضاء. فإنَّ لله في الناس نفحات لا يظفر بخيرها إلا الأصفياء السمحاء ..
ففي الحديث : (إنَّ الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمُستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم !) [البيهقي]

فمن مات بعد هذه المصافي المتتابعة ، والبغضاء لاصقة بقلبه لا تنفك عنه ، فهو جدير بأن يصلى حر النار. فإن ما عجزت الشرائع عن تطهيره ، لا تعجز النار عن الوصول إلى قراره ، وكيِّ أضغانه وأوزاره..

والشحناء التي كرهها الإسلام وكره ما يدفع إليها أو ينشأ عنها ، هِيَ التي تنشب من أجل الدنيا وأهوائها ، والطماعية في اقتناص لذائذها والاستئثار بمتاعها.
أمَّا البغض لله ، والبغض للحق ، والثورة للشرف ، فشأنٌ آخر ..
وليس على المسلم جناحٌ في أن يُقاطع حتى الموت ، من يفسقون عن أمر الله ، أو يعتدون على حدوده. وليس عليه من لائمة في أن يُكِنَّ لهم البغضاء ، ويُعالِنَهم بالعداء.
بل إنَّ ذلك أمارات الإيمان الصحيح ، والإخلاص لله وحده.
وقد أمر الله عز وجل أن نُجافي أعداءه ولو كانوا أقرب الناس إلينا :
(يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُم وإخْوَانَكُم أولِيَاءَ إن اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإيمَانِ ، ومَن يَتَولَّهُم مِنْكُم فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [التوبة –٢٣]

وابتعاد المسلم عمن تسوء صحبتهم أو من يُغْرُونَ بالتهاون والهزل واجب.
وابتعاده عمن أخطأ في حق الله ، عقاباً له ، إلى أجلٍ محدود أو ممدود ، لا شئ فيه ، فقد هجر النبيُّ نسائه أربعين يوماً. وهجر عبد الله بن عمر ولداً له حتى مات ، لأنه رَدَّ حكماً لرسول الله ، كان أبوه يرويه عن إباحة خروج النساء إلى المساجد . . .)

هذا ما أورده الإمام الغزالي رحمه الله . .

كلما يكبر الإنسان ويبدأ في فهم بواطن الخلافات بين العائلات ، وما دفع الناس إلى قطع الأرحام مِن قبل ، وكَنِّ البغضاء والكراهية في القلوب ، فإنَّه لا يملك إلا الحسرة والألم لما صار الحال إليه.
إنَّ المرء يجد أموراً عجيبة بين العائلات.
كُلُّ فريق يرى نفسه على حق ، ثُمَّ لا يستحيي أن يطلب من الفريق الآخر ما له عليه من حقوق بدون أدنى نظر إلى أداء ما عليه من واجبات تجاه الفريق الآخر .. فما النتيجة؟!
النتيجة هِيَ زيادة البعد عن دين الله. فبعد أن يُورث الغل والكراهية في القلوب ، بل وفي قلوب الأجيال التالية ، فإنَّ الجنة تتباعد عن هؤلاء كما تباعدوا عن بعضهم في الدنيا..!!
النتيجة الحتمية هِيَ الفُرْقَة والتشرذم وعدم الاجتماع على كلمةٍ سواء ، فَيَحِقُّ علينا وصف رسولنا صلى الله عليه وسلم بأننا غثاء كغثاء السيل..!!

ولو أنك بحثت في أصل ذلك فإنك تجد أنَّ هناك في مكانٍ مـا نفسـاً متعاليـة ذات كِبْرٍ دفيـن ، قـد سَـاءَهَا خطأٌ صغير ، تحول في نظرها إلى خطيئة لا تُغتفر ، ومن هنا بدأت القطيعة..!!
وقد تجد نفساً أُخرى لا رأىَ لها ولا فكر قد تبعت أُختها المتعالية لمصلحةٍ قريبة أو منفعةٍ بعيـدة ، فعميت عن إبصار الحق وقول الحق. وما هؤلاء عند الله إلا المنافقون.
مَرَدُّ كُلَّ ذلك إلى كِبْرٍ في صدورهم ما هم ببالغيه ، وحقد أعماهم عن رؤية الحق فأصبحوا خاسرين.

كثيرٌ من الناس يُنكِرون المعروف ، وينالون الإنسان بالأذى حتى بعد الإحسان إليهم ، وصِدْق تَمَنِّي الخـير لهم. ما تجد في قلوبهم رحمة ، وما تجد لهم وفاءاً. لا يغفرون ذنباً ، ولا يصفحون عن مسيئ ، ولا يعلمـون من دينهم إلا أنَّ لهم حقوقا ، إن لم تأتهم طواعية ، فلتأتهم على رقاب الآخرين..!!
مِن هؤلاء من لا يُأتمنون على شئ ، ولو أنَّك حاولت جهدك تحقيق أيَّ ربح مشترك في علاقاتك معـهم ، فإنَّهم لا ينتهزون فرصةً إلا وغدروا بك ، غير آبهين بما كان منك من معروف..!!

لا يسـع الإنسـان بعـد أمثـال هـذه الخيانـات إلا أن يمتلـئ قلبـه ألمـاً أو غيظـاً. فكيـف يتعـامل مــع هــذه المشـاعر؟! إنَّ المرء كثيراً ما يلقى أمثال هؤلاء في حياته . . فماذا يفعل حيالهم؟

إننا إذا أطلقنا مشـاعرنا هذه في الآخرين فإنَّ عاقبة الغضب قـد لا تكـون محمـودة ، وقـد يصـير الحـال مـن سيِّئ إلى أسوأ..!
ولو أنَّنا كبتنا مشـاعر الألم والكمد في نفوسـنا ، فلا نأمن على أنفسـنا أمراضـاً نفسـية قـد تُـودي بنـا لأنَّ بعض الحمقى والسفهاء قد خانوا الأمانة ، وكفروا بالمعروف الذي كان بيننا..!

فما العمل..؟!
أحقاً لا أطلق مشاعر غضبي في الناس ولا أكبت مشاعر ألمي داخل نفسـي..؟!!
نعم ..!
فما العمل إذاً ، وكيف أجد متنفساً لهذه المشاعر التي أودعها الله في نفسـي..؟!
أقول لك ما العمل :
لماذا لا تُطلق هذه المشاعر مع الله ..؟!! لماذا لا تلجأ إليه إذ خانك الصديق و تنكر لك الحبيب..؟!!
ألم ترى إلى رسولك صلى الله عليه وسلم ، بعد أن رماه أهل الطائف بالحجارة وسلطوا عليـه سـفهائهم وعبيدهم يرمونه بها في صِفَّيْن ، حتــى أدمـوا قدميـه الشـريفتين ،وأخـذوا يسـبونه وهـو خـير مـن وطـئ الثرى. . ماذا كان مِن قوله وفعله؟!
انظروا إلى حبيبكم محمد ، صلوات الله عليه وتسليماته وبركاته عَدَدَ ما وَسِعَهُ عِلْمُهُ وخَطَّهُ قَلَمُهُ ، انظروا إليه وقد امتلأ قلبه كآبةً وحزناً مما لَقِيَ من الشدة ، وأسـفاً علـى أنـه جـاء إلـى الطـائف ماشـياً مسـافة ستين ميلاً ، ومكث فيها عشرة أيام ، ثُمَّ طُرد منها شرَّ طَرْدَةٍ ولم يُؤمـن بـه أحـد. كُـلُّ هـذا وقـد تراكمـت عليه الأحزان لفقده عمه أبو طالب و زوجته خديجة رضىَ الله عنها..
ها هو حبيبنا يجلس تحت ظل شجرة ويجأر إلى الله تعالى بدعاءٍ ترتجف له السماوات والأرض : **(اللـهم إنِّي أشكو إليك ضعف قوتي . . وقلة حيلتي . . وهواني على الناس . . يا أرحم الراحمين . . أنت رب المستضعفين . . وأنت ربي . . إلى من تكلني ؟ . . إلى بعيـدٍ يَتَجَـهَّمُنِي ؟ . . أم إلـى عدو مَلَّكْتَهُ أمري ؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فـلا أبالي ، ولكـن عـافيتك هِـىَ أوسـع لـي . . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصَلُحَ عليه أمر الدنيا والآخرة مـن أن تـنزل بـي غضبك ، أو يَحِلَّ عليّ سخطك . . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك)**

ما هذا الإيمان ؟! وما هذا التسليم و التفويض لمن بيده الأمر ولمن بيده الملك؟!. إنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ حَقَّاً.

لقد كان لوقع هذه الكلمات خطبٌ كبير في الملأ الأعلى ، فما كان إلا أن نزل جبريل عليـه السـلام ومعـه ملك الجبال ، يستأمرون النبيّ وهو في طريقه إلى مكة ، أن يُطبقوا عليـهم الأخشـبين ! ، فمـا كـان مـن الرحمة المُهْداة إلا أن قال : (بل أرجو أن يُخرج الله عز وجل من أصلابهم مـن يعبـد الله عـز وجـل وحـده لا يُشرك به شيئاً) [البخاري] ..!!!

أحياناً لا يستطيع الإنسان إلا أن يقف مذهولاً أمام هذه النفس البشرية ، نفـس سـيدنا محمـد صلـى الله عليه وسلم ، جزاه الله خير ما جازى نبياً عن أُمَّتِه ورسولاً عن رسالته ، وأسكنه الفردوس الأعلى ، وبعثه المقام المحمود الذي وعده ، إنه سميعٌ مجيب.

هذا هو قدوتنا ، وهذا هو أسوتنا ، وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمر فَزِعَ إلى الصلاة..

هكذا يجب أن نتعامل مع هذه المشاعر..

يجب أن نرجع إلى الله سبحانه وتعالى نبثه شكوانا وأحزاننا فيما غَلَبَ عَلَينَا مِن أمرنا ، وقد قال يعقوب عليه السلام مِن قبل حينما اجتمع عليه هَمُّ فراق يُوسُفَ وأخيه :
(إنَّما أشْكُو بَثِّي وحُزْنِي إلَى اللّهِ) [يوسف –٨٦]

ولنا في سيدنا أيُّوب عليه السلام أسوة حسنة ، حينما أهَمَّهُ ما أصاب زوجتَهُ بسبب مرضه : (وأيُّوبَ إذْ نَادَى رَبَّهُ أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وءَاتَينَاهُ أهْلَهُ ومِثْلَهُم مَعَهُم رَحْمَةً مِن عِندِنَا **وذِكْرَى للعَابِدِينَ**) [الأنبياء –٨٣،٨٤]

ولنا في سيدنا يُونُس عليه السلام أسوةٌ حسنةٌ أيضاً فقد فَوَّضَ أمرَهُ إلى الله وهو في بطن الحوت (وذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَن نَّقْدِرَ عَلَيهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أن لا إلَهَ إلا أنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ **وكذلِكَ نُنْجِي المُؤمِنِينَ**) [الأنبياء –٨٧،٨٨]

يجب أن نرجع إلى القرآن ، ففيه شفاءنا أيضاً من هذه المشاعر ، ألم يقل الحق سبحانه وتعالى : (ونُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ورَحْمَةٌ للمُؤمِنِينَ) [الإسراء –٨٢] ..؟!

أما هؤلاء الذين أجرموا في حقنا ، وخانوا ما أولياهم من أمانات ، فلا يَزنُونَ عندنا مثقال ذرة ، ولن يُلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين ، ولكن ما من حرج أن نحافظ على الإحسان إليهم.
(ولا تَستَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحْسَنُ فَإذَا الَّذِي بَينَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. ومَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُوا ومَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [فصلت –٣٤]

Habit 6: Synergize التعاون مع الآخرين واحترام قيمة الاختلاف

في **العادة السابقة** رأينا أنواعاً مختلفةً للعلاقات البشرية ، ورأينا أنَّ خير هذه الأنواع من العلاقات إنما يكون في تحقيق الربح المشترك لأطراف هذه العلاقات ، وإن كان في ظاهر هذا الربح خسارةٌ لأحد الأطراف ، وأرى أنَّ هذا الأمر يحتاج إلى **تعقيب قصير** قبل البدء في العادة السادسة:

نحن المسلمون عندما نتكلم عن الربح المشترك فنحن نستحضر تلقائياً إيماننا بالغيب ، ونستحضر أيضاً قيماً إسلامية كثيرة تجعل من السعي في حاجة الأخ المسلم خيراً كبيراً يفوق المكث في عبادة بالمسجد مدة شهر.!! وقد أشرت في البحث السابق إلى أنَّ عدم وجود الإيمان بالغيب هو الذي يجعل من الصعب تطبيق هذه العادة على مواقف كثيرة ، نعتبرها نحن المسلمون واجباً دينياً ، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله لرد الظلم والعدوان ولإقامة العدل ، بينما يعتبرها غيرنا ، ومرضى القلوب مِنَّا ، عملاً لا يعود عليه بأي ربح ، بل قد يُعطله عن تحقيق ما أراده لنفسه من إنجازات وطموحات.

والغرب الذي يطبق هذه العادة ولا يستحضر معها أيَّ إيمانٍ بالغيب ، يجعل من المنفعة المباشرة ، والربح الواضح محوراً لإقامة أيّ علاقة مع أيّ بشر . . . وهذا ما يعلمه الجميع.
مثل هذا التطبيق الغربي لهذه العادة لا يبالي بقيم الحق والعدل طالما منفعته في غير ذلك،
وماذا ننتظر من أناس لا يجعلون حُبَّ الله ورسوله أحب إليهم من أيِّ عرضٍ من حطام الدنيا الزائل ؟!!

عَلَّمَنَا ربُّنَا ذلك ، ومع هذا فلا نزال نُفَوِّضُ إليهم أمورنا ، ونثق فيما يقولونه لنا . . والله بما يعملون محيط.!!

المهم أننا نعلم من ديننا أنّه حتى في حالة وجود الربح المشترك فإنَّ هناك أصولاً يجب أن تُراعى ، وقواعد يجب أن تُتّبع ، منها : (**مصلحة الجماعة تُقدم على مصلحة الفرد أو القلة**) ، ومنها (**درء المفسدة في أمر ما مُقدَّم على جلب المصلحة فيه**) . . وغير ذلك.

أكتفي بهذا التعقيب لنبدأ سوياً في تناول العادة السادسة. لنقرأ ما كتبه الدكتور ستيفان كوفي أولاً:

Quotes:
"The whole is greater than the sum of its parts"
"The essence of synergy is to value differences – to respect them, to build on strengths and to compensate for weaknesses"
"People who are truly effective have the humility and reverence to recognize their own perceptual limitations and to appreciate the rich resources available through interaction with the hearts and minds of other human beings". – Stephan Covey

> ***Synergy***
> *The whole is greater than the sum of its parts. Synergy takes place when two or more people produce more together than the sum of what they could have produced separately.*

The essence of synergy is valuing the differences. **Valuing the differences doesn't imply that individuals approve of or agree with differences**; however, it does mean that people **respect differences** and view them as opportunities for learning and discovering together what each could not discover alone.

When you cooperate with others, you seek first to understand before being understood, and after that you think win-win to achieve what is considered right to both parties and on the intention of benefiting all. Then you cooperate to achieve results you couldn't achieve alone.

At what level do you value differences?

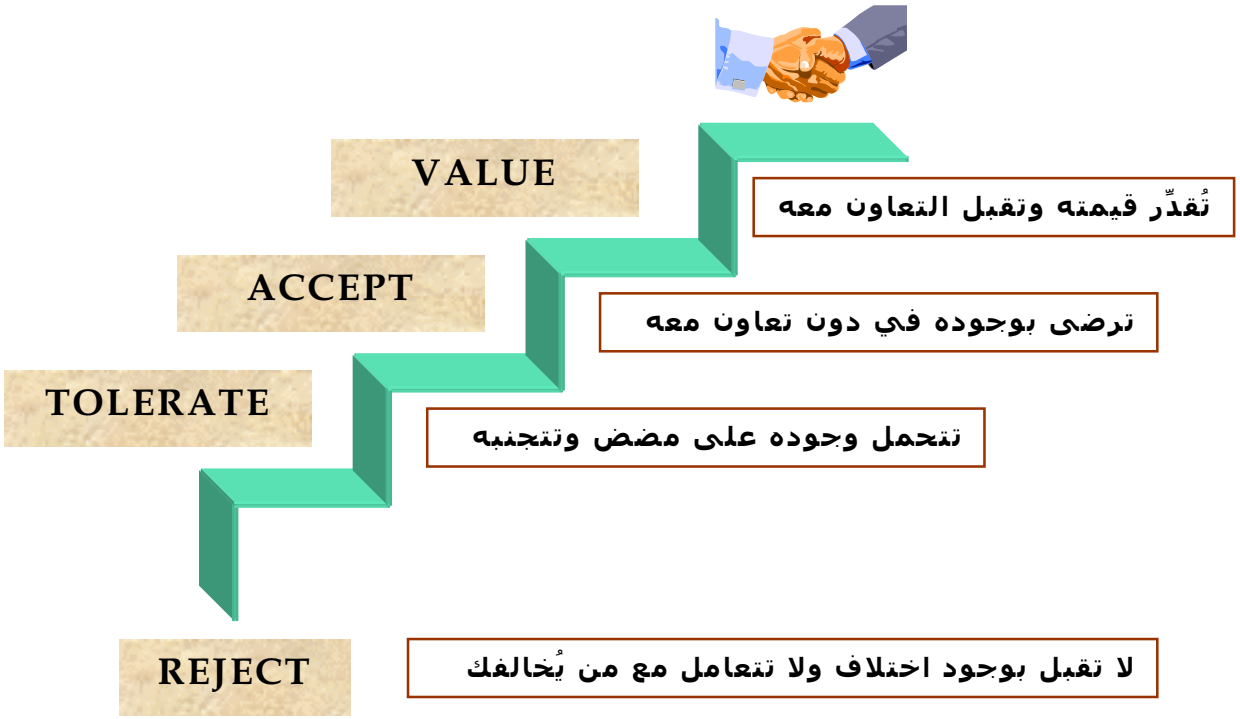

BLOCKS To SYNERGY عوائق التعاون

هذه العادة تختصر **مبادئ إسلامية** عديدة ، نحن أعلم بها ممن كتب عن هذه العادة ، منها :

- قيمة الجماعة وعدم الخروج عليها بما يجلب التنازع والفشل.
- قيمة التعارف بين الناس جميعاً وتقدير مواهبهم.
- التعاون مع الجميع على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان.
- احترام آراء الآخرين وعدم التعصب لرأي بما يُفسد العلاقات الإنسانية.
- حب الخير للناس بنفس القدر الذي يُحبه المسلم لنفسه.
- تطهير القلوب من رذائل الأثرة والحقد والبغضاء للناس.

نعم ، هكذا كان يجب أن نكون :

نتعاون فيما بيننا فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضُنَا بعضاً فيما اختلفنا عليه

إنَّ هذه المبادئ نعلمها ونقرأها كثيراً ولكن قليلاً ما نعمل بها . . طوعاً . . أو كرهاً !!

- نقرأ عن التعارف بين الناس ، والسعي لاكتشاف مواهب الأمم ، للاستفادة منها في عمارة الأرض بالحق والعدل في غير تكبر أو غرور في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنْثَى وجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. إنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتْقَاكُم ، إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات - ١٣]

- نقرأ عن طاعة الله ورسوله في لزوم الجماعة وعدم التنازع على الدنيا حتى لا نفشل وتذهب ريحُنَا في قوله تعالى : (وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُم ، واصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال – ٤٦] ، وفي قوله تعالى : (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُم فِي شَئٍ)[الأنعام – ١٥٩] وفي قوله تعالى أيضاً : (إنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) [الصف– ٤] ، ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي بعهد ذي عهدها ، فليس مني ولست منه) [البخاري] ، وقوله أيضاً : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [الترمذي]

- نقرأ عن التعاون في قوله تعالى : (وتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ والعُدْوَانِ)[المائدة– ٢]

- نقرأ عن احترام الرأي الآخر وعدم التعصب ، وإتقان **أدب الحوار والاختلاف في الإسلام** في البحث السابق عن تكملة العادة الرابعة من الصفحة رقم (٤٤) حتى الصفحة رقم (٥١). وأرجو أن نقرأها مراراً وتكراراً حتى يترسَّخ في قلوبنا ما في ديننا من سعة صدر ، وفقه بالأولويات ، واهتمام بالموضوع دون الشكل ، وإنزال الأصول والفروع منازلها ، ونبذ الفرقة وذلِّهَا والاستمساك برباط الجماعة وعِزِّهَا.

- نقرأ عن حب الخير للناس وتطهير القلوب من رذائل الأثرة والحقد في البحث السابق للإمام الغزالي رحمه الله بعنوان (**سلامة الصدر من الأحقاد**) في سياق الكلام عن العادة الخامسة من الصفحة رقم (٥٥) حتى الصفحة رقم (٦٠).

هذه كلها مبادئ إسلامية ، أمرنا بها القرآن ، وأوصانا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماذا فعلنا بهذه الأمانة التي تركها لنا رسول الله وحُملت إلينا على رقاب الشهداء ؟!
بل ماذا فعلنا حيال أمتنا المريضة بالفرقة والبغضاء والحقد ، حتى أصبح الأمان للأجنبي مُقدَّمٌ على الأمان للمسلمين مثلنا؟!
هل طهرنا قلوبنا من تلك الرذائل وذهبنا نشيع روح الترابط والمحبة في الله؟!
أم أننا لا نزال نختلف في التوافه والأمَّة على وشك أن ينهشها الذئاب..؟!!

عندما كنت صغيراً كنت دائم الشعور بالسخرية والاستهزاء من إخواننا العرب.!! وعندما نما بي السِنُّ كنت أرى مَن حولي لا يسلم من لسانهم العربُ إذا جاءت سيرتُهم ، بينما تتعب ألسنتُهم من مدح الأوروبيين والأمريكيين وإن لم تأتي سيرتُهم !! ولكن عندما أصبحت شاباً رُحْتُ أسئل نفسي (من المسئول عن زرع هذه المشاعر في قلبي وأنا صغير؟!! هل ينظر إلينا هؤلاء بمثل ما ننظر به إليهم ؟!!) . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . ألا لعنة الله على من فعل ذلك بنا ، وزرع الكراهية بيننا.

أرى لزاماً على شباب هذه الأمة ، وأنا منهم ، ألا ندع موقفاً يظهر فيه خَبَثُ هذه الكراهية المزروعة في قلوبنا إلا أشرنا إلى المكر الذي لحق بنا من قديم في هذا الأمر ، وما صار إليه حالنا اليوم عندما آمَنَّا بما زينه لنا أعدائُنا فكان نجاحهم المنقطع النظير في تطبيق سياسة (فَرِّقْ تَسُدْ).
نعم ، لم يسودوا إلا بعد تفرقنا ، وليس لهذه الأمة من قيام إلا بعد توحدنا.
فلنحرص جميعاً ألا ننجرف في أيِّ شئٍ من ذلك لكي نُضْحِكَ بها المجالس ، ولكن لابد من وقفة لمن ينال هذه الوحدة بأذىً ، **ولئن كان في أخي عيب فلا زال أخي وله عليّ إن استطعت حق النصيحة ، ولكن لن ينجح أحد في زرع الكراهية بيني وبينه ، وإن فعل ما يُخجل منه فلن أنشر له فضيحة.**

فلنعاهد على ذلك أنفسنا ، إن أردنا أن نتعاون فيما بيننا لاسترداد العِزَّة المفقودة ، وحتى نكون خير أُمَّةٍ أخرجت للناس حقاً . وهذا عهدي آخذه معكم أو قبلكم فانظروا ماذا تعملون.

قال الإمام الغزالي رحمه الله عن "**الاتحاد**" في كتابه (**خلق المسلم**) :
(تقوم شرائع الإسلام وآدابه على اعتبار الفرد جزءاً لا ينفصم من كيان الأمة ، وعضواً موصولاً بجسمها لا ينفك عنها ، فهو – طوعاً أو كرهاً – يأخذ نصيبه مما يتوزع على الجسم كله من غذاء ونمو وشعور.

وقد جاء الخطاب الإلهي مُقِرّاً هذا الوضع ، فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي ، وإنما تناول الجماعة كلها بالتأديب والإرشاد ، ثم من الدرس الذي يلقى على الجميع يستمع الفرد وينتصح ، وهكذا اطرد سياق التشريع في الكتاب والسنة.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُم وافْعَلُوا الخَيرَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ ، وجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) [الحج – ٧٧،٧٨]

فإذا وقف المسلم بين يدي الله ليناجيه ويتضرع إليه ، لم تجر العبادة على لسانه كعبد منفصل عن إخوانه ، بل كطرف من مجموع متسق مترابط ، يقول :
(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، لا إياك أعبد وإياك أستعين !!

ثم يسأل الله من خيره وهداه فلا يختص لنفسه بالدعاء ، بل يطلب رحمة الله له ولغيره ، فيقول :
(اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِم)

إنَّ الله عز وجل لم يخلق الناس لينقسموا ويختلفوا . . لقد شرع لهم ديناً واحداً وأرسل أنبياءه تَتْرَى ليقودوا الناس كافةً في طريق واحدة ، وحرَّم عليهم من الأزل أن يصدِّعوا الدين ، وأن يتفرقوا حوله عِزين.

بيد أنَّ الشهوات المتزينة تناست هذه الوصية الكريمة ، وتنكرت للتراث الإلهي العظيم ، فانقسم الناس أحزاباً ، وصار كل حزب يكيد للآخر ويتربص به.
قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحاً ، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ، وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً ، وأَنَا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ. فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَينَهُم زُبُراً ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ. فَذَرْهُم فِي غَمْرَتِهِم حَتَّى حِين) [المؤمنون– ٥١-٥٤]

وبَيَّنَ الله عز وجل أن **اتباع الهوى** و**متابعة البغي** هو سر هذا الافتراق الواسع.)

وروى بعد ذلك الإمام قصةً في احترام اتحاد الأُمَّة وعدم تفرق كلمتها ، وشيوع الكراهية بينها حيث قال :
(قيل لأحد الشيوخ : أدرك المصلين في المسجد ، يوشك أن يتقاتلوا ، قال : علام؟! قيل : بعضهم يريد أن يصلي التراويح ثماني ركعات ، والبعض يريد صلاتها عشرين. قال : ثم ماذا ؟ قيل : هم بانتظار فتواك .

قال : الفتوى أن يُغلق المسجد فلا تُصلى فيه تراويح ألبته ، لأنها لا تعدو أن تكون نافلة ووحدة المسلمين فريضة ، ولا قامت نافلة تهدم فريضة. !!

وتمشياً مع تعاليم الإسلام في وقاية الأمة غوائل الشقاق ، أفتى العلماء أن تغيير المنكر لا يلزم إذا كان سيؤدي إلى مفسدة أعظم ، فإنَّ بقاء المنكر ضرر ووقوع هذه المفسدة ضرر أبلغ ، فيُرتكب أخف الضررين!!)

إنَّ دعاة الفتن في كل عصر لا يهدأ لهم بال إلا بأن يُثيروا في هذه الأمة دعاوى الفرقة والحقد والبغضاء . .

كثيرٌ من الناس تستهويهم القضايا الخلافية ، وأكثرهم لا يجيدون إلا الجدل ، ولا يُحسنون العمل.
سألني واحد من هؤلاء ونحن جلوس عندما بدأت بتحويل محور الحديث إلى الإسلام وقال لي : (صحيح ، ما رأيك في التعامل مع البنوك؟!) ، فقلت له : (ما رأيك أنت في كيفية تربية الأطفال في الإسلام ؟!! لماذا إذا جاء ذكر الدين فلا نتذكر إلا ما نُحسن الجدل فيه ولا نلتفت إلى معايشة الإسلام في حياتنا؟!!).

أرى أن نحذر هذه الفخاخ التي ينصبها لنا الناس حتى يكون الأوْلَى من حديثِنَا هو ما يَصلحُ بهِ حَالُ الأُمّة ولندع الخلاف لمَن يهتم بالانتصار لرأيه ، أو التعصب لحزبه أو إمامه.

إذا سألنا أمثال هؤلاء فهذه بعض الردود التي قد نرد بها عليهم :
(ماذا تتخذ من إجراءات واحتياطات لضمان خشوعك في الصلاة؟!
ماذا تأتي من أعمال تؤدي بها شكر الله على نعمه عليك؟! وما هِيَ أحَبُّ نِعَمِهِ عليك لك؟!
ماذا تفعل إذا أهمك أمر أو ضاقت بك نفسك؟!
ما هِيَ النية التي تستقبل بها كل يوم في حياتك؟!
ما رأيك في تعامل سيدنا يوسف مع إخوته وهو عزيز مصر برغم ما فعلوا في حقه من ظلم؟! وكيف نقتدي بمثل تلك الأخلاق في حياتنا الآن؟!
ما رأيك فيما نال سيدنا أيوب من مرض وصبره عليه؟! كيف استطاع بشر أن يصبر ويتحمل كل هذا؟! أهو صدق الإيمان أم شئٌ آخر؟!
هل تحرص في عملك على الاطلاع العلمي في مجالك عسى أن تجد ما تطور به عملك؟!
ما هِيَ في ظنك صفات الزوجة الصالحة أو الزوج الصالح؟!
في أي الكتب تقرأ لتعد نفسك لتكون أباً صالحاً ؟!
هل تفكرت من قبل في مقدار حبك لله ورسوله كما أوردتها آية سورة التوبة؟!
. . أرى أن هناك من الأسئلة الكثير مما نستطيع أن نأتي به جميعاً **لكي نصرف حواراتنا مع الناس إلى ما تصلح به القلوب ، وتتفكر فيه العقول ، وما يصح أن نترك أنفسنا فريسة لجدل ومراء نحن نعلم نتيجته مسبقاً** ، ولنتذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد ببيت في وسط الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحِقّاً..!!

مشكلة الفرق الإسلامية الموجودة الآن على اختلافها أنها تضم بين صفوفها من الشباب - وقد يكون ذلك عن غفلة وليس عن قصد بالطبع - من لم يستجمع بعد **أدب النفس** و**حسن الفقه** ، وما أزعم أنني استكملت ذلك بعد. ولكنّي أرى أنَّ التعصب لا ينبت إلا بهؤلاء ، فتجد منهم مَن يُكَفِّر أبناء الفرق الأخرى ، ويصد السبيل عنهم ، ويتابع نشاطهم في كل مكان حتى سمعت أن هناك من أنشأ مركزاً إسلامياً في أمريكا فجاء أبناء فرقة أخرى فبنوا مركزاً بجانبه وأخذوا يدعون الناس إلى ترك المركز الأول إلى مركزهم لأن الآخرين على باطل !!! . . عبث في عبث في جهل في غيبة وعي . . . شفاهم الله وإيانا.
لو كان اليهود فعلوا ذلك ما كانت لهم دولة الآن ، وما استطاع ستة ملايين منهم أن يُذِلُّوا أكثر من ستمائة مليون مسلم ..!!!

أظنني لو أخبرتكم بهذا الباطل المزعوم لصرخت أفواهكم غيظاً أو ألماً ، ولكن هكذا فُتِنَّا.

لو أنَّ هؤلاء تخصصوا في مجالات محددة وأصبح لكل مجال جماعة أو لكل مجموعة من المجالات جماعة ، ثم رضي كل منهم ما عليه الآخرون في إطار من الأخوة ووحدة الهدف ، ولم يزعم أنه على الحق وحده ، فتكاملت جهودهم في سبيل الدعوة إلى الإسلام والتقريب بين شعوبهم وأوطانهم على رباط من الحب في الله وأخوة الإسلام ، ثم ينصرفون لتربية الناس والأجيال الجديدة على الأخلاق التي ما بُعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلا ليُتَمِّمَهَا ، ثُم السعي في بناء الحضارة بالاهتمام بما يأتي بالقوة للمسلمين في هذا الزمن لكان في ذلك خير لهم ولنا أجمعين ، وما أظُنُّ أنَّ هناك خيراً في غير ذلك ، والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا ، ولا نزكي على الله أحداً ، ولا ننال من سيرة أحد فهو أعلم بذات الصدور. !

وبعد ، فقد أورد الإمام الغزالي في كتابه : (**دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**) كثيراً من المقترحات التي وُضعت للمِّ الشمل وجمع كلمة الأمّة على ما فيه خيرٌ لها في دنياها وآخرتها ، ومن تلك المقترحات.

(**لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر**)

(**الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً في التفرق في الدين ، ولا يُؤدي إلى خصومة أو بغضاء ، ولكل مُجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله ، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم أو التعصب**)

(كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نُهينا عنه شرعاً. ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع ، والخوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم ، وما جرى بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته)

(معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام . وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، وما يلحق بذلك من المتشابه ، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله وأصحابه (وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بهِ كُلٌّ مِن عِنْدِ رَبِّنَا) [آل عمران–٧])

هذا ما يجب أن نستحضره إن أردنا أن نتعاون فيما بيننا لاسترداد مكانة هذه الأمة ، وقد قرأت حديثاً مقالاً كبيراً للدكتور يوسف القرضاوي ، اقترح فيه عشرين عنواناً لترشيد الصحوة الإسلامية وتجنيبها المزالق والفتن ، أوردها هنا بدون تعليق. قال : (إنَّهَا تُمثل الخطوط العريضة لمستقبل الصحوة المنشودة في فهم الإسلام ، والدعوة إليه ، والعلاقة بالآخرين من العاملين له ، والقاعدين عنه من أبناء أمته ، ومن الجاهلين به ، والخائفين منه ، والطامعين فيه ، والحاقدين عليه من غير أمته.

أرى أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز :

١- من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات.
٢- من النوافل إلى الفرائض.
٣- من المختلف فيه إلى المتفق عليه.
٤- من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب.
٥- من طرفي الغلو والتفريط إلى الوسطية والاعتدال.
٦- من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.
٧- من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد.
٨- من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل.
٩- من العاطفية والارتجال إلى العلمية والتخطيط.
١٠- من التعصب على المخالفين في الرأي إلى التسامح معهم.
١١- من الإثارة إلى التفقيه (أو من أسلوب الوعاظ إلى أسلوب الفقهاء)
١٢- من الكم إلى الكيف (أو من الاهتمام بتزايد الأعداد ولو على حساب التربية إلى العناية بالتربية ولو على حساب العدد)
١٣- من سماء الأحلام إلى أرض الواقع (أو من المثالي المنشود إلى الممكن الموجود).
١٤- من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له (أو من موقف ممثل الاتهام إلى موقف الطبيب)
١٥- من الانكفاء على الماضي إلى معايشة الحاضر ، والإعداد للمستقبل.
١٦- من الاستغراق في العمل السياسي إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعي.
١٧- من اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التنوع والتعاون.
١٨- من إهمال شئون الحياة إلى التعبد بإتقانها.
١٩- من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة.
٢٠- من الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس (أو من الغلو في إثبات الذات إلى نقد الذات))

طبعاً كل عنوان مما قاله الدكتور يوسف القرضاوي يحتاج إلى شرح ، ولكن لنتفكر نحن في هذه الأمور مع أنفسنا ، ومع بعضنا البعض ، ولنزن كل شئ بميزان العقل والحكمة فهذا ما أُمِرنَا به ، وهذا ما يجب أن نسعى إليه عسى الله أن يهدينا لأقرب من هذا رشدا.

نحن الشباب علينا أمانة إصلاح بناء ضخم قد يأس الناس من إصلاحه إلا القليل. ولن يتم لنا الإصلاح إلا بإشاعة روح الوحدة والتعاون على البر والتقوى ، ونبذ الخلاف في الفروع الذي قَطَّعَ أوصالَ أُمَّةٍ كانت خيرَ أُمَّةٍ أخرجت للناس . . فاللهم لا تستبدلنا ، ولكن أصلحنا وأصلِح بنا ، وألِّف بين قلوبنا ، واجعلنا صالحين مصلحين ، لا ضالين ولا مضلين ، ولكتابك مُحَكِّمِين ، وبنَبيِّك مُقْتَدِين ، إنَّك يا مولانا عليم حكيم.

Habit 7: Sharpen the Saw جدد حياتك

Sharpen the saw is a daily process of renewing the **four dimensions** of our natures: ***Physical***, ***Mental***, ***Spiritual*** and ***Social/Emotional***. These four dimensions sustain and increase our capacities and help us discipline our **Mind**, **Body** and **Spirit**.

To be successful or highly effective in life, you must continuously work hard on renewing these four dimensions. This habit of continuos renewal surrounds all other habits.

The only constant in life is change. People cannot live with change if they don't have a changeless core inside them - the **Principles**. According to what is at the center of their lives will be the source of their ***Security***, ***Guidance***, ***Wisdom*** & ***Power***.

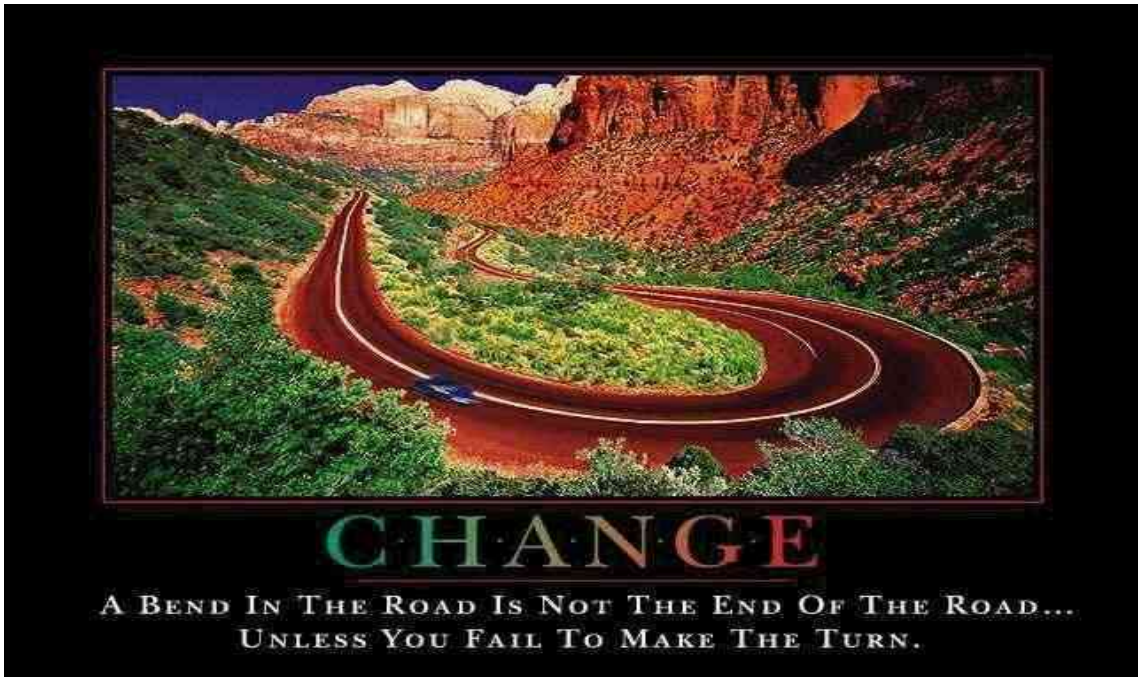

As a final word in the 7 Habits issue, we should always give attention to what is said in the following graph.

Cultivating a Destiny

*Watch your thoughts, they may become **WORDS**.*
*Watch your words, they may become **ACTIONS**.*
*Watch your actions, they may become **HABITS**.*
*Watch your habits, they will become your **CHARACTER**.*
*Watch your character, it will become your **DESTINY**.*

الإنسان روحاً وعقلاً وجسداً وعاطفةً بحاجةٍ إلى تجديد مستمر. وهذا التجديد قد وضع قاعدتَه الإسلام قبل أربعة عشر قرناً فقال : (إن لربك عليك حقا و لأهلك عليك حقا ، و لنفسك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه). [رواه البخاري]

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه (**جدد حياتك**) :
(كثيراً ما يحب الإنسان أن يبدأ صفحة جديدة في حياته ، ولكنه يُقرن هذه البداية المرغوبة بموعد مع الأقدار المجهولة كتَحَسُّن في حالته ، أو تَحَوُّل في مكانته ! .
وقد يُقرنها بموسم معين ، أو مناسبة خاصة كعيد ميلاد ، أو غُرَّة عام مثلاً.
وهو في هذا التسويف يشعر بأن رافداً من روافد القوة المرموقة قد يجيء مع هذا الموعد فيُنَشِّطَهُ بعد خمول ويُمنّيهِ بعد يأس !! .
وهذا وهم . فإنَّ تجدد الحياة ينبع قبل كل شئ من داخل النفس.

والرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وبصر لا تُخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت ولا تصرفه وفق هواها. إنَّهُ هو الذي يستفيد منها ، ويحتفظ بخصائصه أمامها كبذور الأزهار التي تطمر تحت أكوام السبخ، ثم هِيَ تشق الطريق إلى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة !.
لقد حولت الحمأ المسنون والماء الكدر إلى لون بهيج وعطر فواح . . كذلك الإنسان إذا ملك نفسه وملك وقته ، واحتفظ بحرية الحركة لقاء ما يُواجه من شئون كريهة. إنه يقدر على فعل الكثير دون انتظار أمداد خارجية تساعده على ما يريد.

إنه بقواه الكامنة ، وملكاته المدفونة فيه ، والفرص المحدودة أو التافهة المتاحة له يستطيع أن يبني حياته من جديد. لا مكان لتريث. إنَّ الزمن قد يفد بعون يشد أعصاب السائرين في طريق الحق ، أما أن يهب المُقْعَد طاقةً على الخطو أو الجري فذلك مستحيل.

لا تعلق بناء حياتك على أمنية يلدها الغيب ، فإنَّ الإرجاء لن يعود عليك بخير.

الحاضر القريب الماثل بين يديك ، ونفسك هذه التي بين جنبيك ، والظروف الباسمة أو الكالحة التي تلتف حواليك ، هِيَ وحدها الدعائم التي يتمخض عنها مستقبلك.
فلا مكان لإبطاء أو انتظار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسِيءُ النَّهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسِيءُ الليل) [مسلم]

ثم إنَّ كل تأخير لإنفاذ منهاج تجدد به حياتك ، وتُصلح به أعمالك لا يعني إلا إطالة الفترة الكابية التي تبغي الخلاص منها ، وبقاءك مُنهزماً أمام نوازع الهوى والتفريط.

بل قد يكون ذلك طريقاً إلى انحدار أشد ، وهنا الطامة.

وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (النادم ينتظر من الله الرحمة ، والمعجب ينتظر من الله المقت. واعلموا عباد الله أنَّ كل عامل سيقدم إلى عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وإنما الأعمال بخواتيمها)
و (الليل والنهار مَطِيَّتَان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة)
و (احذروا التسويف فإنَّ الموت يأتي بغتة)
و (لا يَغْتَرَّنَّ أحدكم بحلم الله عليه عز وجل ، فإنَّ الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) ثُـمَّ قرأ : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ ، ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهْ) [الزلزلة – ٨،٧]

ما أجمل أن يُعيد الإنسان تنظيم نفسه بين الحين والحين ، وأن يرسل نظرات ناقدة في جوانبها لتعرف عيوبها وآفاتها ، وأن يرسم الخطط القصيرة المدى والطويلة المدى ليتخلص من هذه الهَنَّات التي تزري به.

في كل بضعة أيام أنظر إلى أدراج مكتبي لأذهب الفوضى التي حلت به من قصاصات متناثرة ، وسجلات مبعثرة ، وأوراق أدت الغرض منها.

يجب أن أرتب كل شيء في وضعه الصحيح ، وأن يستقر في سلة المهملات ما لا معنى للاحتفاظ به ! . وفي البيت ، إنَّ غرفه وصالاته تصبح مُشْعَثَة مُرتبكة عَقِب أعمال يوم كامل. فإذا الأيدي الدائبة تجول هنا وهناك لتنظف الأثاث المغبر وتطرد القمامة الزائدة وتُعيد إلى كل شيءٍ رواءه ونظامه.

ألا تستحق حياة الإنسان مثل هذا الجهد ؟! . . ألا تستحق نفسك أن تتعهد شئونها بين الحين والحين لترى ما عراها من اضطراب فتزيله ، وما لحقها من إثم فتنفيه عنها مثلما تنفي القمامة عن الساحات الطهور ؟!

ألا تستحق النفس بعد كل مرحلة تقطعها من الحياة أن تُعيد النظر فيما أصابها من غُنم أو غُرم؟! وأن تُرجع إليها توازنها واعتدالها كلما رجتها الأزمات ، وهزها العراك الدائب على ظهر الأرض في تلك الدنيا المائجة ؟!

إنَّ الإنسان أحوج الخلائق إلى التنقيب في أرجاء نفسه وتعهد حياته الخاصة والعامة بما يصونها من العلل والتفكك .)

صدقت يا إمَامَنَا وغفر الله لك ، وجزاك الله عنا خير الجزاء لِمَا تركته لنا من تراثٍ قَصُرَت دُونَهُ الهِمَمُ ، ولِمَا جَاهَدْتَهُ في حياتك من جهادٍ شَهِدَتْ لك به القِمَمُ.

إنَّ الغرب الذي يُجَدِّدُ ذاته بالقراءة والرياضة وغير ذلك – وهذا من الواجب علينا كذلك – لا يستطيع أكثر أهله أن يعيشوا بدون الحبوب المهدئة ، أو بدون العرض شبه الدوري على الأطباء النفسيين.!!
لماذا . . ؟!!
لأنَّ الروح عنده خربة خاوية. فهو ينسى الله ولا يُبالي بحقه ، ويعكف على الدنيا ولا يأبه لما بعدها.
ومن أجل ذلك فهو يسقط صريع القلق والخوف ، وفقدان الهوية ، وعدم الصبر على ما يشتهيه ، وعدم الرضا بما قسمه الله له من رزق ، وما قضاه عليه من أقدار. فهو يركض في الدنيا ركض الوحوش في البرية ثم لا يكون له منها إلا ما قسمه الله له . . وليتهم يُؤمنون فيُغَيِّرُ الله حالهم إلى أحسن حال.

أما نحن المؤمنون فنحن لا ننسى حَقَّ الله ما استطعنا ، ونسعى في الدنيا وسيلةً لما بعدها ، ونرضى بقضاء الله لنا من رزق و صحة و غير ذلك مما لا نملك فيه اختياراً. ونحن نعلم أنَّ الصبر هو جماع كل الأخلاق ، ما كان من خُلُقٍ إلا والصبرُ أساسُهُ. ومن أجل ذلك فنحن لسنا عبيداً لشهواتنا بفضل الله علينا ولكنَّ اللهَ ورسولَهُ أحبَّ إلينا من آبائنا وإخواننا وأزواجنا وأولادنا وأموالنا ، ومساكننا التي نرضاها ، وتجارتنا التي نأكل منها. ونرجو من الله أن يُثَبِّتَنَا على ذلك ، وأن يرزقنا الإخلاص فيه ، ولا نُزَكِّي أنفسنا عليه أبداً ، فالله سبحانه وتعالى يُزكِّي من يشاء . . (ولَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم ورَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُم مِن أحَدٍ أبَداً ، ولَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) [النور - ٢١]

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (**الفوائد**) :
(في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يُزيلها إلا الأنس بالله ، وفيه حزن لا يُذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يُسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه ، وفيه نيران حسرات لا يُطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه ، وفيه فاقة لا يَسدُّها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تُسَدُّ تلك الفاقة أبداً)

نعم ، (الَّذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بذِكْرِ اللهِ ، ألا بذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ. الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُم وحُسْنُ مَئَابٍ) [الرعد – ٢٨،٢٩]

(قُلْ بفَضْلِ اللهِ وبرَحْمَتِهِ فَبذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا . هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [تونس - ٥٨]

هكذا أراد الله لنا أن نكون ، وله الحمد وحده ، نرضى بما قسمه الله لنا ونصبر على ما ابتلانا الله به ، فلقد علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن ما أصابنا لم يكن ليُخطئنا ، وأنَّ ما أخطأنا لم يكن ليُصيبنا. فسبحان من لا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لقضائه ، ولا إله غيره ، عليه توكلنا ، وعليه فليتوكل المتوكلون. رب السماوات والأرض وما بينهما ، ورب العرش العظيم ، الملك ، الحق ، الفرد ، الصمد ، الذي لم يلد ولم يُولد ، ولم يكن له كفوا أحد.

اللهم إنَّا نُشْهِدُك ، ونُشهد ملائكتك ، وحملة عرشك ، أننا قد رضينا بك رَبّاً ، وبالإسلام دينا ، وبالقرآن كتاباً ، وبنَبِيِّكَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم هَادِياً وإمَاماً ، شهادةً نستودعها عندك إلى يوم نلقاك يا رب العالمين. عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نُبْعَثُ إن شاء الله.

(قُل إنَّ صَلاتِي و نُسُكِي و مَحْيَاىَ و مَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ و بِذَلِكَ أُمِرْتُ و أنَا أوَّلُ المُسْلِمِين) [الأنعام – ١٦٢ و ١٦٣]

. . . هذا من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكنَّ أكثر الناس لا يَعْلَمُون. يَعْلَمُونَ ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

(**ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**) [يوسف - ٤٠]

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

انتهيت بفضل الله وتوفيقه من تناول موضوع العادات السبع للناجحين تناولاً يشرح لنا نحن المسلمون كيفية تطبيق هذه العادات في حياتنا في غير حرج. وذلك حيث إنني حرصت أن أربط هذه العادات التي تهدف إلى إصلاح الأخلاق ربطاً وثيقاً بالإسلام ، على قدر ما أوتيته من علم وجهد ، فالحمد لله من قبل ومن بعد.

وكان غرضي من توفير هذه المرجعية الإسلامية هو اقتناعي وإيماني بأننا نحن المسلمون كان يجب أن نكون أساتذة للبشرية في موضوع الأخلاق. يجب علينا نحن أن نُعَلِّمَهُم الأخلاق ، لا أن نتعلم منهم الأخلاق ، لأنَّ مَن علَّمنا هذا هو سيِّدُ ولد آدم ولا فخر . . مَن علّمنا هذا هو مَن مدحه الله بقوله (وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم - ٤] ، لم يُمدح أحدٌ من النبيين بمثل ذلك قط . . مَن علّمنا هذا هو الذي قال : (إنما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق) [مالك] ، وقال : (أدَّبَنِي ربِّي فأحْسَنَ تَأدِيبي) . .

مع اعترافي بأنني لم أقبل أن يتكلم معي أحد في الأخلاق بدون مرجعية إسلامية ، إلا أننا نحن المسلمون يجب أن نعترف بجهد كل ذي جهد ، وأن نحترم المحاولات الفكرية الراشدة التي تظهر في أيِّ مكان من الأرض مُحَاوَلَةً إصلاحَ مجتمعاتها من أمراض بَعُدَت بها عن طريق الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

نحن نحترم هذه الحكمة التي انطلقت من أفواه هؤلاء ، ونقدر لهم جهودهم ، ولكننا نستأذنهم بأننا لا نستبدل بديننا ديناً آخر ، ولا نُفْتَن بما جاءوا به مهما كان من حالنا من ضعف ، ومهما كان من حالهم من قوة. لأننا نعلم أنَّ محاولاتهم للإصلاح لن تخلوا من قصور في وصف الدواء ، ونقص في فهم أصل الداء.

وقد تواتر على هذه البشرية الكثير من الفلاسفة ورواد الإصلاح الذين بذلوا جهدهم لإصلاح ما حولهم. وقديماً كان الجدل فيما كان في استطاعة الإنسان أن يصل إلى الحق وحده بدون إرشاد السماء. ولكن أثبت التاريخ أنَّ أحوال الأمم لم تكن لتَنْصَلِحَ بدون الرسل الذين يحملون رسالة الله إلى عباده أجمعين.
(لَقَدْ أرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبَيِّنَاتِ وأنْزَلْنَا مَعَهُم الكِتَابَ والمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بالقِسْطِ) [الحديد - ٢٥]

نعم ، قد مَنَّ الله علينا بديننا وبرسولنا وقال : (يَا أيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن ربِّكُم وأنْزَلْنَا إلَيكُم نُوراً مُبِينَا. فَأمَّا الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ واعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُم فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وفَضْلٍ ، ويَهْدِيهِم إلَيهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) [النساء – ١٧٤، ١٧٥]

ونحن على كل حال نعذر هذه المحاولات جميعاً فيما وقعت فيه من أخطاء ، فهيَ على كل حال ، وفي أغلب الظن ، لم يُعرض عليها الدين عرضاً راشداً سليماً يُبيِّنُ ما فيه من خير ورحمة وعدل وشفاء. فكان من الطبيعي أن يُعرضوا عنه ، وألا يقبلوا به ، فانطلقوا يبذلون جهدهم لمعرفة الحق بأنفسهم ، فأصابوا في أمور وأخطأوا في أخرى. وأظن أنَّ الدين لو عُرِضَ عليهم عرضاً أميناً عادلاً لما تَوَرَّعُوا أن يكونوا له أنصارا ، وأن يصدحوا به ليلاً ونهاراً.

ونحن المسلمون ، قديماً وحديثاً ، ينالنا قدر كبير من الإثم تجاه هذا الجهل الذي شاع عند الأمم بديننا وبرسالتنا ، فالإمام الغزالي رحمه الله يقول في كتابه (**المحاور الخمسة للقرآن الكريم**) :
(**إنَّ المسلمين ظلموا دينهم مرتين : مرة بسوء التطبيق ، ومرة بالعجز عن التبليغ . . .**
سوء التطبيق عرض الدِّينَ نفسَه للتُّهم حتى قيل أنه ضد العقل والفطرة والحرية. .
والعجز عن التبليغ أبقى جماهير كثيفة في المشارق والمغارب لا تدري عن الإسلام شيئاً يُذكر . .)

ومن أجل ذلك فهو يقول : (إنَّ استقراء عقائد المفكرين – كما أثبت العقاد – يدل على أنَّ جمهورهم مؤمن. ولكنه إيمان عام بوجود الله وعظمته ، أما تحول هذا الإيمان إلى صلاة وتسبيح وصيام واستغفار فلا سبيل إليه إلا بالوحي ، وأنَّى لهم هذا الوحي؟!)

ومن أجل ذلك ، فقد حاولت أن أشير إلى جوانب من قصر الفهم للتشخيص والعلاج الـذي اكتنـف موضـوع العادات السبع بمفهومه الغربي من خلال ما كتبت عنه ، وفي سياق التعليق عليه.

ولعلي هنا أُحْمِلُ ما قيل من قبل وأزيد عليه فأقول:

إنَّ مفهوم النجاح في التنـاول الغربـي يُعتـبر مفـهوماً قـاصراً. فمظـاهر النجـاح التـي ذُكـرت فـي أول بحـث ليست ذات قيمة عندنا نحن المسلمون إذا لم تُؤدِّي إلى نجاح في الآخرة . .!!

فالنجاح في الدنيا عندنا مقرون بالنجاح في الآخرة ، لا يُغني أحدهما عن الآخر طالما الإنسان يبذل ما في وسعه ، فـلا يكلـف اللّه نفسـاً إلا وسـعها ، ومـا الدنيـا عندنـا إلا زرع نحصـده يـوم القيامة.

ولذلك فالذين لا يُؤمنون بالغيب ، ولا يُؤمنون بأنَّ أعمالهم سيحاسبون عليـها يـوم القيامـة ، يعتـبرون فـي نظر الإسلام فاشلون ، مهما حققوا في هذه الحياة من إنجازات ، فَخَـيْرُ ذلـك كُلُّـهُ للنـاس ، أمَّـا هـم فقـد حَبِطَتْ أعمالهم. (قُـل هـل أَنَبِّئُكُـم بِالأَخْسَـرِينَ أَعمـالا ؟ ، الَّذِيـنَ ضَـلَّ سَـعْيُهُم فِـي الحَيَـاةِ الدُنْيَـا وَهُـم يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعَا. أولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ رَبِّهِم ولِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُـهُم فَـلا نُقِيـمُ لَـهُم يَـومَ القِيَامَةِ وَزْنَاً) [الكهف – ١٠٣-١٠٥]

بل إنَّ الأمر عندنا أخطر وأعمق من ذلك . .!!

فحتى الذين يُؤمنون بالغيب ، ويعلمون أنهم محاسبون على ما يعملون ، إذا أشركوا باللّه في نِيَّاتِهم شيئاً آخر فإنَّ أعمالهم تُحْبَط أيضاً . . **فنحن نعلم أنَّ اللّه لا يقبل من العمـل إلا مـا كـان خالصـاً لوجهـه ، وموافقاً لشرعه.**

أما من تعلم العلم ليقال عالم ، وأنفق ليقال كريم ، وجاهد ليقـال شـجاع ، فـهؤلاء عندنـا أوَّلُ مـن تُسـعر بهم النار يوم القيامة ، ويا لها من خسارة جلبوها لأنفسهم ..!!

واللّهُ سبحانه وتعالى لا يظلم هؤلاء ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، فمن عمل عملاً يبتغي به غير وجـه اللّه فإنَّ اللّه يُوكله إليه ليأخذ أجره منه ، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما في الصدور ، لـو كـان فيـهم خـيراً لضاعف لهم الأجر أضعافاً مضاعفة : (والَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم رِئَاءَ النَّـاسِ ولا يُؤْمِنُـونَ بِـاللّهِ ولا بِـاليَومِ الآخِـرِ ومَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً. ومَاذَا عَلَيهِم لَو آمَنُوا بِاللّهِ والِيَومِ الآخِـرِ وأَنْفَقُـوا مِمَّـا رَزَقَـهُم اللّهُ ، وكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً. إنَّ اللّهَ لا يَظْلِـمُ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ وإن تَـكُ حَسَـنَةً يُضَاعِفْـهَا ويُـؤتِ مِـن لَدُنْـهُ أَجْـراً عَظِيمَـاً) [النساء – ٣٨،٣٩]

ومادام الأمر كذلك ، ومادام اللّه لا يقبل من العمل إلا مـا كـان خالصـاً لوجهـه وموافقـاً لشـرعه ، فـإنَّ ذلـك يستتبع إفراد الحق سبحانه وتعالى بالألوهية ، وتنزيهه عن الشرك ، ونفض ما اعترى ما قبلنا من ديانـات من تحريف وضلال ، والرجوع إلى التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام.
أما اليهود الذين قالوا عُزَيرٌ ابن اللّه ، والنصارى الذين قالوا المسيحُ ابن اللّه ، فاللّه سبحانه وتعـالى يقـول : (إنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ. ومَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً) [النساء –١١٦]

واللّه يُخاطب أهل الكتاب فيقول لهم :
(يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم ولا تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إلا الحَقَّ. إنَّمَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُـولُ اللّهِ وكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ. فَآمِنُوا بِاللّهِ ورُسُلِهِ ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ. انْتَهُوا خَيْراً لَكُم. إنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِـدٌ سُـبْحَانَهُ أن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ وكَفَـى بِـاللّهِ وَكِيـلاً. لَـن يَسْـتَنْكِفَ المَسِـيحُ أن يَكُـونَ عَبْداً للّهِ ولا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ ، ومَن يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِهِ ويَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُم إِلَيهِ جَمِيعاً. فَأَمَّـا الَّذِيـنَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِم أُجُورَهُم ويَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ وأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا واسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُم عَذَابَاً أَلِيماً ولا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً ولا نَصِيراً) [النساء –١٧١ - ١٧٣]
نعم ، هذا ما نؤمن به :
(ومَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ) [آل عمران – ٨٥]

وهذا الحكم بالخسارة الفادحة في الآخرة يكون يقيناً على من عُرض عليه الحق صريحاً وواضحاً ثم جحده واستكبر ، أما غيرُ هؤلاء فالله أعلم بما سيصيرون إليه ، ولا نحاكم البشر في الدنيا . .

من أجل ذلك فنحن المسلمون نرى أنَّ جوانبَ الإيمان الحق الذي لا تحريف فيه ولا تشويه ، ضرورةٌ من ضرورات النجاح ، ومُقوِّمٌ أساسي من مقوماته. لا يكون نجاح أبداً إلا بها ، وهِيَ :
الإيمان بالله وحده ، إلهاً متفرداً واحداً صمداً ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد. ثم الإيمان بالرسل جميعاً إيماناً لا يفرق بين أحد منهم ، والإيمان بالكتب واليوم الآخر والملائكة والجنة والنار والقَدَر خيره وشره ، وغير ذلك من أركان الإيمان.

إذن نقطة البداية تكون من هنا :
(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ والمُؤْمِنُونَ. كُلٌّ آمَنَ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ ، وقَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإِلَيكَ المَصِيرُ) [البقرة –٢٨٥]

وهذا ما أمرنا الله أن نقوله :
(قُلْ آمَنَّا باللهِ ومَا أُنْزِلَ عَلَينَا ومَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَقَ ويَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ ومَا أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى والنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم ، لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنْهُم ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [آل عمران –٨٤]

هذا عن مفهوم النجاح بدايةً . .

أما عن المفاهيم الأساسية (**Foundational Concepts**) فلقد حاولت أن أوضح أموراً كانت ملتبسة الفهم من خلال ما تلقيته في دورة العادات السبع فقط. فمثلاً موضوع الرؤية الشخصية (**Paradigm**) قد تم إيضاحه من قبل بشئ من التفصيل حتى لا يلتبس الفهم فلا يكون هناك تعريف لمرجعية نرجع إليها عندما نختلف ، أو نثق فيها عندما تعصف بنا الأقدار. ولقد كانت هناك جملة تُثِيرُني في الدورة وكنت أقول في الدورة أن هذه الجملة مشكلة لا يصح أن تترك هكذا بدون تعقيب . . كانت الجملة تقول :

"I do not see the world as it is, I see the world as I am" – Stephan Covey.

طبعاً هذه الجملة مشكلة كبيرة في نظري ، ولقد سردت من قبل قصة الحوار الذي دار بيني وبين واحد ممن أخذوا الدورة معي حيث سارع لنفي أن يكون رأيه خطأً لمجرد أنني قلت له أنه خطأ ، فلقد أكد أنني أرى العالم من خلال نفسي وليس كما هو ، ومن أجل ذلك فلا يعيب الآخرين أن يروا العالم من خلال أنفسهم أيضاً وبالتالي فلا توجد مرجعية نحتكم إليها في أمور ليست من محل تطبيق هذه الجملة أصلاً ..!!

المهم ، تم تناول هذا الأمر بشئ من التفصيل من قبل حتى لا يلتبس الفهم . .

أما عن العادات نفسها فلقد حاولت من خلال ربطها بالإسلام أن أشير إلى ما فيها من أخطاء في التطبيق. وذلك ظهر في تناول العادة الخامسة (Think Win-Win) وأنواع العلاقات بين الناس. .!
تم الإشارة إلى أنه في حالة عدم استحضار معانٍ غيبية وإيمانية عند تطبيق هذه العادة فإنَّ الأمر سيتحول في العلاقات بين الناس إلى حسابات للخسائر والأرباح المجردة فقط وهذا شئ لا يعترف به الإسلام . .

شئٌ آخر حاولت الإشارة إليه وهو معالجة الحالات المرضية التي لا تستطيع اتباع هذه العادات في حياتها. وهذا شئ مهم جداً في تناولنا لأيّ فكر غربي أو شرقي ، فإنَّ هؤلاء قد ينجحون في تشخيص الداء ولكن يظل الدواء الذي وضعوه – إن كانوا وصلوا إليه حقاً – قاصراً دون الدواء الذي جاء به الحق سبحانه وتعالى.

مثلاً ، لم أجد أيَّ شئ عن علاج ما في الصدور من الأحقاد أو عن آفات التفرق وعلاجها كما رأيت ذلك في الإسلام. لم أجد توصيفاً دقيقاً لآفات الغيبة والنميمة والحسد وكيفية العلاج منها . . !!

حاولت الآن أن أنظر مرة أخرى لأرى أين ذلك فوجدت هذه الجملة المتواضعة عن الغيبة :

"*If you want to retain those who are present, be loyal to those who are absent*" – Stephan Covey
Note that "**retain**" means: ***to keep possession of*** or ***avoid losing***

هذه الجملة على براءتها الظاهرة ، فإنَّ رائحة الشرك فيها لا تخفى على مسلم . .!!
فلو أنَّ الدافع فقط لعدم ذكر عيوب الآخرين الغائبين عن مجالسنا هو محاولة كسب احترام الحضور من الناس وعدم انفضاضهم من حولنا ، ما كان لنا من أجر على ذلك ، بل قد يُعد ذلك نوعاً من الشرك والنفاق ..!!

ما كان لمسلم أن يبالي إلا بالحق ، وما كان له أن يقول إلا حقاً ، ثم هو بعد ذلك لا يبالي إن كان هذا الحق الذي قاله قد استجلب له عداوة الناس أو احترامهم. .!!

فالمسلم لا يسعى بتصرفاته لأن يكون رأي الناس فيه حسناً ، ولكنه يسعى فقط لأن يكون من الذين رضي اللّهُ عنهم ورسولُه. وما كان لنا أن نخاف في اللّه لومة لائم . .

...

ختاماً ، فلقد حاولت أن أقدم شيئاً لنفسي وللمسلمين ، رأيت فيه خيراً لنا أجمعين ، عسى أن يتقبله اللّه مني محاولةً للإصلاح ، وسبيلاً من سبيل الدعوة إليه ، وأحمد اللّه أن هداني إلى ذلك. وما كان في هذه الكتابات من توفيق فما توفيقي إلا باللّه ، وما كان فيها من أخطاء فمِن نفسي ، إنَّ النفس لأمَّارةٌ بالسوء . .

وأنا أدعو كل من يقرأ هذه السلسلة أن يجاهد نفسه ليطبق ما فيها من خير ، وأن يُعَلِّمَ ذلك من حوله مِن الناس إن رأى في ذلك خيراً له ولهم . .

وبعد ،
ففي ما ذكرت إلقاء ضوء على بعض من تعاليم الإسلام ، قام به شابٌ من شباب المسلمين لم يفقه بعد من دينه إلا القليل ، وفي ذلك استثارة لهمم الشباب عسى أن نتحرك جميعاً من دائرة الكلام والجدل إلى دائرة العطاء والعمل ، أو من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له ، أو من موقف ممثل الاتهام إلى موقف الطبيب. فأنا لا أريد أن يجلس أيُّ مسلم أو مسلمة ليتجسر على حاضره وماضيه ، ويلعن من يشاء ممن يستحقون اللعنات ، ثم يقول ليس باستطاعتي فعل أيُّ شئ . . كلا . . !

إنَّ العلل من حولنا كثيرة ، والأمراض تكاد تفتك بنا قبل غيرنا ، ولكن في مواجهة هذه العاصفة وجدت أسئلةً قد طرحها الإمام الغزالي رحمه اللّه في كتابه (**ركائز الإيمان بين العقل والقلب**) عسى أن تجد من يتلقاها فيعمل بها :
(إنَّ الدين شفاء من هذه العلل جمعاء ، فهو **عقل مستقيم وضمير حي**. أما الثروة الطائلة من النظريات ، والفقر المدقع في المشاعر النبيلة ولاتجاهات الكريمة فليس تديناً مقبولاً . .

والسؤال الذي نريد الإجابة عليه **:**
كيف نحقق هذا التدين ؟
وكيف نربي في القلوب الإحساس بجلال اللّه والخشوع لعظمته؟
كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق؟
كيف نحول معرفة اللّه إلى مذاق حلو يطبع النفوس على الرقة ويصفي السرائر من كدرها؟
كيف نجعل المرء مشتاقاً إلى ربه ، فهو ببواعث من أشواقه يطيعه ويسارع إلى مرضاته؟
وكيف نجعله هياباً لذاته ، فهو بدوافع القلق ينفر من معصيته ويفزع من مساخطه؟
كيف يشهد المرء ربه في مجال السماوات والأرض ، ويشهد أسماءه الحسنى فيما يقع من حركة أو سكون على امتداد الزمان والمكان؟

إنه لا يتم إيمان ، ولا يثمر دين إلا إذا أحسنا الإجابة على هذا التساؤل . .!)

إنَّ خاتمة الإمام الغزالي لكتابه (**حدد حياتك**) لهيَ أولى بالسرد هنا :
(لكي تصون الحقيقة ، وتضبط حدودها ، يجب أن تعرف هذه الحقيقة ، وأن تعرف غيرها معها !
قد تقول : (وما شأن هذا الغير ؟! ولماذا يخدش الجهل به حسن التصور للحق المجرد ؟!)
والجواب أن الصورة الكاملة لابد لها من حدود ننتهي إليها ، وعند النهاية المرسومة لهذه الحدود تبدأ حقائق مغايرة .

ولن تتميز معرفة الشيء إلا إذا عرفت الأغيار المجاورة له أو المشتبه به ، ولذلك قال الأقدمون : (بضدها تتميز الأشياء) .

والناس في معاملاتهم المالية إذا باعوا عقاراً لم يكتفوا بذكره ، بل شرحوا حدوده الأربع ، وجعلوا من ذكر القطع المجاورة ، وبيان أصحابها سياجاً لضبط الحقيقة التي تعنيهم وحدها ، ولا يعنيهم غيرها إلا تبعاً لها..!

وقد كان عمر حريصاً على تعريف الجاهلية للناس ، لا لأنَّ تعريف الجاهلية دين ، بل لأنَّ معالم الإسلام ومواقع إصلاحه لا تستبين إلا إذا عرفت الظلمات والمظالم التي جاء هذا الدين لتبديدها ، ومحو شاراتها.

قال عمر : (**إنما ينحل الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية**) !

من هنا كان لزاماً على كل مشتغلٍ بعلوم الإسلام أن يدرس الحياة كلها ، وأن يتعرف وجوه النشاط البشري ، ومراميه القريبة والبعيدة.

إنَّ ضيق العطن ، وسوء البصر بما يقع في الدنيا وما يُتَوَقَّع ، والانحصار في حدود الفكرة الخاصة ، والاقتناع بجانب من المعرفة دون جانب ، كل ذلك حجاب دون معرفة الإسلام والإفادة من تراثه الضخم في ميادين الثقافة والتربية ، والفقه والتشريع ، وسياسة الأفراد والجماعات .

والدراسات المقارنة هِيَ في نظري أجدى الوسائل للبحث عن الحقيقة والظفر بها . .

وإنِّي أهيب بالعلماء المنصفين أن يجيلوا أبصارهم فيما بلغته الآداب والفلسفات من نتائج ، وأن يضموا إلى هذه المعرفة دراسة الإسلام نفسه ، وهم بأيسر مقارنة منتهون إلى ضرورة نفع العالم بهداياته ، ومنع العوائق التي تصد الناس عنه.

وكلمة أخيرة إلى علماء المسلمين : إنَّ قصر باعهم في علوم الحياة هو أبشع جريمة يمكن أن ترتكب ضد الإسلام. هذا القصور إن أمسوا به في هذه الدنيا متخلفين ، فهم عند الله ورسوله أشد تخلفاً وأسوأ عقبى.

إنَّ أنفسنا وبلادنا وحياتنا وآخرتنا في ظمأ هائل إلى مزيد من المعرفة والضياء)

وأختم هذا الأمر بكلمة أخرى لإمامنا الغزالي غفر الله له، إذ قال في كتابه (**ركائز الإيمان بين العقل والقلب**) :
(**ليست قيمة الإنسان فيما يصل إليه من حقائق وما يهتدي إليه من أفكارٍ سامية ، ولكن في أن تكون الأفكار السامية هِيَ نفسُه ، وهِيَ عملُه ، وهِيَ حياتُه الخارجية كما أنها حياتُه الداخلية**) . . !

. . . نسأل الله جميعاً أن نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونعوذ به من أن نكون من الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون . .

إن كان في العمر بقية ، وإن يَسَّرَ اللهُ لي ، أكتب سلسلةً أخرى عن (**القيادة في الإسلام**) مستوحاة من دورة الدكتور ستيفان كوفي تحت عنوان : (The 4 Roles of Leadership)